الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة - آسيا جبّار- قسنطينة

قسم التاريخ والجغرافيا

محاضرات في مقياس

حركات التحرّر في العالم

مطبوعة بيداغوجية موجّهة إلى طلبة: السنة الرابعة(بكا+4)، السنة الرابعة(بكا+5)

التخصّص: تاريخ وجغرافيا

مقياس: حركات التحرّر في العالم

إعداد: نبيل شريخي

السنة الجامعية:

2024-2025م / 1445-1446هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

المقدّمة:

تتناول هذه المطبوعة الدروس المقرّرة في مقياس "حركات التحرّر في العالم"، والمقدّمة لطلبة المدارس العليا للأساتذة، السنة الرابعة(ملمح أستاذ تعليم ثانوي)، والسنة الرابعة-ملمح أستاذ تعليم متوسّط)، وهي تغطّي أيضا جزءا هاما من هذا المقياس، والذي يتميّز باتساع مجاله الزماني والمكاني؛ باعتبار تعلّقه بالظاهرة الاستعمارية التي هي ضاربة في القدم، وعرفت تطوّرا وتغييرا في الوسائل والأساليب مع مختلف المراحل التاريخية، قبل أن تعرف نموا مطردا منذ منتصف القرن 15م، فيما أطلق عليه بالاستعمار الحديث الذي استوى على سوقه في القرن 19م، حتى أطلق عليه قرن الاستعمار[1]، إضافة إلى أنّ بقاء بعض المناطق مستعمرة إلى وقتنا الحاضر، أو لتغيير الاستعمار مظاهره وطرقه، يجعل المجال الزمني لهذا المقياس مفتوحا يتتبع مسار الحركة التحرّرية من حيث هي ردة فعل على استمرار وجود الاستعمار، تنشد خلالها تحقيق استقلال شعوبها، أو التصدي لمختلف مظاهر الاستغلال والسيطرة.

ومن جهة أخرى نجد أنّ المجال المكاني لأحداث هذا المقياس واسعة أيضا؛ من حيث هو يدرس الظاهرة الاستعمارية التي كان مركزها في مرحلتها الحديثة القارة الأوروبية التي كانت المبادرة لاستعمار الشعوب والمناطق المتوزعة على مختلف قارات العالم من إفريقيا إلى آسيا والقارة الأمريكية، ما يجعلنا من خلال هذه العلاقة بين الدول الاستعمارية والدول المستعمرة نتناول تقريبا جميع المناطق المتوزّعة على خريطة العالم.

وانطلاقا من الاعتبارات الآنفة الذكر، قسّمتُ هذه الدروس في سياق تتبّع أهم الأحداث ، والمتوافقة مع المقرّر الوزاري، إلى أربعة محاور كبرى، تضمّن كلّ محور مجوعة من الدروس؛ فتمّ في **المحور الأوّل** تناول الغزوات الاستعمارية خلال القرنين 15 و16، والتي يدرج على تسميتها بالكشوف الجغرافية؛ حيث نستعرض أسبابها، أهدافها، الدول المشاركة فيها، ومختلف النتائج والانعكاسات لها.

[1]- جمال حمدان: استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص ص 07 ،09 .

وتمّ التطرّق في **المحور الثاني** إلى تشكّل الإمبراطوريات الاستعمارية في العالم من القرن 16م إلى القرن 20م؛ والذي تتبّعنا فيه قيام وتوسع الإمبراطورية البرتغالية، الإسبانية، الهولندية، الإنجليزية، والفرنسية، ثمّ ضعفها وأفولها، قبل ولوج دول أخرى للمعترك الاستعماري بدءا من القرن 19م.

وتضمّن **المحور الثالث** نماذج من الحركة التحرّرية في قارة آسيا؛ والتي ميّزتها عدّة حركات بدءا بالحركة التحرّرية في الصين، والهند، ثمّ بالهند الصينية، والتي حاولنا من خلالها تتبّع مختلف السياسات الاستعمارية، ونشاط الحركات الوطنية في هذه الدول لمواجهتها ومن أجل تحرّرها واستقلالها.

وتناول **المحور الرابع** نماذج أخرى من الحركة التحرّرية في قارة إفريقيا، والتي تعتبر من أكثر القارات معاناة من الاستعمار، باتخاذها قاعدة لوصول الأوروبيين إلى الهند أو لاستغلال ثروات القارة الأمريكية، بتسخير سكانها عبيدا نقلوا بالملايين إليها، قبل أن تعرف تكالبا على خيراتها وإمكانياتها في سياق تحوّل الرأسمالية الأوروبية نحو الصناعة والآلة، وما تحتاجه من مواد أولية وأسواق، جسّدها مؤتمر برلين الثاني 1884-1885، وقد أخذنا نماذج عن الحركة التحرّرية في تونس، المغرب، ليبيا، وفي غينيا بيساو والرأس الأخضر.

وفي الأخير أرجو أن تنال هذه الدروس القبول لدى قارئيها، وأن تكون مفيدة للطالب وعونا له، في فهم بعض الأحداث المتعلّقة بالسياسة الاستعمارية وأهدافها، ومختلف الحركات التحرّرية التي قامت من اجل التصدّي لها، وتبتغي التحرّر والاستقلال والانعتاق من التسلط والظلم، والله الموفّق.

نبيل شريخي

قسنطينة في: 06 أفريل 2025/ 07 شوّال 1446هـ

المحور الأوّل

الغزوات الاستعمارية خلال القرنين

15و16م

المحور الأوّل: الغزوات الاستعمارية خلال القرنين 15 و16م

عرف القرن الخامس عشر تحوّلات عميقة داخل القارة الأوروبية التي كانت تجني ثمار نهضتها في مختلف جوانب الحياة، كما عرف تغيّرات كبرى على مستوى العلاقات الدولية، فما هي أهم النتائج والانعكاسات من هذا الوضع؟

أوّلا- التوسّعات الأوروبية خارج القارة:

01- انطلاق الغزوات البحرية وأسبابها:

كتب الكثير عن الغزوات البحرية (ما يسمّى الكشوفات الجغرافية)(les grandes découvertes)[1]؛ فمنهم من أرجعها إلى أسباب دينية وحضارية، ومنهم من أرجعها إلى أسباب علمية جغرافية، وهناك من أرجعها إلى أسباب اقتصادية وسياسية، والحقيقة أنّ كلّ هذه العوامل مجتمعة تشكل الأسباب الحقيقية لعملية التوسّع الأوروبي، لكن يجب البحث وترتيب أيّا من الأسباب السابقة كان في المقدّمة.

أ- الدوافع الاقتصادية:

إنّ خروج الإيبيريين والأوروبيين عموما كان من أجل عرقلة المسلمين، والوقوف في وجههم؛ لأنّهم كانوا مسيطرين على التجارة بين الشرق والغرب؛ فمنذ أن استولى العثمانيون على القسطنطينية عام 1453م، أصبحت الطرق البرّية والبحرية المارّة في آسيا بأيديهم، كما أنّ الطرق الأخرى عبر البحر الأحمر وشمال إفريقيا كانت بيد العرب وحلفائهم الإيطاليين،(البندقية-Venis/Venezia

[1]- تعرّف على أنّها "مجموعة من الاستكشافات التي قام بها الأوروبيون من القرن الخامس عشر إلى القرن السادس عشر".
« ensemble des explorations entreprises par les Européens du 15 au 16 siècle ».
- Françoise Guerard: **Auzou- dictionnaire encyclopédique**, éditions Philippe Auzou, Paris, 2006, p.514.

وجنوة–Genoua–)، لذلك بحث الأوربيون الذين كانوا في حاجة إلى البهارات والتوابل عن طريق تجاري أخر يصلون من خلاله إلى الشرق[1] .

وكانت للرحلة التجارية التي قام بها الرحالة الإيطالي ماركوبولو Marco Bolo (من 1254إلى 1324م)، وبدأها من البندقية رفقة والده وعمّه إلى الصين، واستقرارهم بها ما بين 1275 و1295، وما كتبه في وصف الصين وما تتمتع به من ثروات واسعة قد شجّعت ودفعت بالعديد من المغامرين الأوروبيين على أن يغوصوا في غمار السفر والرحلة باتّجاه آسيا الوسطى والشرقية، والقيام برحلات استكشافية أخرى خلال القرنين 15و16م[2].

يضاف إلى هذا أنّ أوروبا الغربية على الخصوص استنفذت مدخّراتها من الذهب ورصيدها، خلال مبادلاتها التجارية مع المسلمين، بالإضافة إلى تكاليف الحروب الصليبية، ومن هنا أصبح الأوربيون في حاجة إلى الذهب لتنشيط اقتصادهم، ونتيجة ذلك أطلق على هذه الحقبة اسم أو مصطلح الجوع أو العطش للذهب(La soif d'or)[3].

---

[1]– أشرف صالح محمّد سيد: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2009، ص66.

[2]– ذهب البعض إلى المقارنة بين كولومبس "مكتشف القارة الأمريكية"، وماركو بولو مكتشف أرض الفردوس المجهولة في آسيا الوسطى والشرقية، وكانت هذه الرحلة أوصلت ماركو بولو وأفراد من عائلته إلى قوبلاي خان، حفيد جنكيز خان، وهناك أصبح مبعوثا للخان، وحاكما لإحدى المناطق في الصين، انظر:

– طارق أحمد شمس: الشرق على طريق الحرير، دراسة تاريخية–جغرافية–اقتصادية 3000ق.م–2017م، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2018، ص76، 77.

[3]– في الوقت الذي كان هذا المعدن الثمين متوفرا بكثرة في مناطق من إفريقيا؛ فقد اعتمدت مملكتي مالي وغانا في اقتصادها على الذهب، حتى صارت غانا تعرف بأرض الذهب، وأصبح ملوكها من أغنى ملوك الأرض، كما نقلت عن منسى موسى أعظم ملوك مالي، ما أنفقه في طريقه إلى الحج من الذهب الكثير، فأدّى ذلك إلى هبوط قيمة الذهب وقتها، وتجاوزت شهرته بلاد المسلمين إلى العالم المسيحي. انظر:

– عايدة العزب موسى: تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص106، 107.

ب- الدوافع السياسية والدينية:

كانت الغزوات الأوربية(الكشوفات الجغرافية) استكمالا وامتدادا للحروب الصليبية(1096 1270م)[1] ؛ فبعد فشل الأوربيين في إحراز النصر على المسلمين، وغزو بلاد الشام ومصر في القرنين 12و13م، وهي نفس الفترة التي تهاوت فيها دولة المسلمين في الأندلس، وانقسمت إلى طوائف متناحرة، استغل المسيحيون الفرصة للتوسّع على حسابهم، وطردهم معتمدين على الوازع الديني[2]؛ فاستطاع البرتغاليون -الذين قوي شأنهم في القرن 13م- التخلص من حكم المسلمين ومواصلة حروبهم ضدّهم، وملاحقتهم خارج أوروبا في إفريقيا(Reconquista)، فاحتلوا مدينة سبتة سنة 1415م،[3] في حين أنّ الإسبان تمكّنوا - بعد اتحاد إمارتي أراغونا وقشتالة بزواج فرديناند وإيزابيلا Isabella(1451-1504) عام 1469م- من طرد المسلمين من آخر معقل لهم بغرناطة سنة 1492م، وأكثر من ذلك طاردوهم في سواحل شمال إفريقيا، واحتلوا معظمها[4].

وعرفت هذه الفترة تغييرات سياسية عميقة؛ ففي غضون أربعين عاما(1453-1493)، تمّت إزالة الدولة البيزنطية بعد سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين، وجعلوها عاصمة لهم، كما توّجت حروب الاسترداد الكاثوليكية بإسقاط غرناطة وإلحاقها بمملكة قشتالة، وبذلك يكون الإسلام الأندلسي الذي

---

[1]- كان البابا أوربان الثاني قد نادى في مجمع كليرمونت بضرورة توحيد المسيحيين لقواهم، والسير صوب الأراضي المقدّسة، وقد كانت للبابوية أهداف ديموغرافية وسياسية وراء هذه الحملة؛ إذ أنّ البابا كان قد شرح أنّ أراضي المسيحيين قد ضاقت بهم، وأصبحت تكاد لا تكفي إطعام من يعيشون عليها، كما كان البابا يخشى من خطر ضغط الأتراك والإسلام على أوروبا، ممّا قد يؤدّي إلى سقوط بيزنطة، وتهديد كلّ المسيحية، انظر: - جلال يحي: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، سيطرة أوربا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، (د.ت)، ص145، 146.

[2]- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، منشورات عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 139، جويلية 1989، ص7،8.

[3]- اعتبر الغزو الإيبيري للمغرب للثغور المغربية استمرارا للروح الصليبية ، ما اعتبره المؤرّخ توينبي رد فعل ونتيجة طبيعية للهجومات التركية على الأراضي المسيحية في أوروبا الوسطى خلال القرنين 14و15م؛ فقال: "عندما تيقن المسلمون من سيطرتهم على البحار، لجأوا إلى خطة تطويق الإسلام والمسلمين، وتجنّبوا مواجهتهم مباشرة على غرار ما قاموا به في حروبهم الصليبية السابقة، والتي كانت تعود عليهم بخسائر كارثية". انظر: - عبد المجيد القدوري: المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر(مسألة التجاوز)، ط02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص94، 95.

[4]- أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص69.

عاش في الجزيرة الإيبيرية ما يقرب من ثمانية قرون قد انتهى، ومع بدايات القرن 16م أصبحت السواحل المتوسّطية في أغلبها تحت الهيمنة العثمانية؛ بتوجّه العثمانيين صوب سوريا ومصر وإزالة الدولة المملوكية(1250–1516)، وضمّ الحجاز واليمن وطرابلس والجزائر، وأدّى حصار فيينا الأوّل (1529–1532) إلى أن جعل أوروبا الغربية محاصرة في رقعة جغرافية ضيّقة[1].

أمّا الكنيسة الكاثوليكية فقد باركت العملية منذ بدايتها، وحرصت على دعمها ماديا ومعنويا، ودعت شعوب أوروبا إلى التجنّد لإنجاح العملية، وهو ما يوضحه الإسكندر السادس بقوله: "ينبغي للكاثوليكية والدين أن ينتشروا في كلّ مكان، وينبغي أن تصبح الشعوب البربرية (غير المسيحيين) منضوية تحت راية الإيمان"، وعكسته أقوال وتصرّفات "المستكشفين" أنفسهم[2]، والذي يعبّر عن ذلك الصراع المتكرّر بين الحضارتين الغربية والإسلامية[3].

كما كان لظهور الفكر القومي، وقيام دول حديثة في أوروبا محل الدوقيات أو دول المدن (كالبرتغال، هولندا، انجلترا، فرنسا، الدانمارك)، قد أدّى إلى سعي كلّ منها إلى بسط نفوذها خارج حدودها؛ فالدول الناشئة الجديدة عندما استجمعت أسباب القوّة شرعت تحاول الاستيلاء على غيرها من البلاد بطرق مختلفة، وأدّى بها الطموح لاستغلال الشعوب الأخرى[4].

---

[1]– مجموعة مؤلفين: العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو(1516–1916)، تحوّلات بُنى السلطة والمجتمع من الكيانات والإمارات السلطانية إلى الكيانات الوطنية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2019، ص49.

[2]– من ذلك تصريح فاسكو ديغاما عند وصوله إلى جزر الهند الشرقية، بالقول: "الآن طوّقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل فيختنق ويموت"، انظر: – حامد محمّد خليفة: الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهويّة، دار القلم، دمشق، 2005، ص 277، 278.

[3]– امتد الصراع الإسلامي المسيحي لمدة 1300 عاما؛ فبعد ظهور الإسلام توقف المدّ العربي الإسلامي غربا وشمالا منذ سنة 732م، واعتبارا من القرن 11م إلى القرن 13م، حاول الصليبيون بنجاح مؤقّت إقامة حكم مسيحي بالأراضي المقدّسة، وبالسيطرة العثمانية خلال القرن 16و17م على أقاليم تتوزّع بين ثلاث قارات تحيط بأوروبا الغربية، نتج عنها ثنائية فريدة في التاريخ وجوار غير مسبوق بين الإسلام والمسيحية، انظر: – صمويل هانتجتون: الإسلام والغرب آفاق الصدام، تر: مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1415هـ/1995م، ص 22، 23.

[4]– نور الدين حاطوم: الحركات القومية– يقظة القوميات الأوروبية، ط02، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م، ص 20، 21.

ج- الدوافع العلمية والثقافية:

كان التقدّم العلمي من أبرز مظاهر النهضة الحديثة، بظهور حركة الترجمة وتبادل المعرفة وانتشارها[1]، فأدّى ذلك إلى انتشار فكرة كروية الأرض، وتطوّر رسم الخرائط، واستعمال البوصلة والإسطرلاب، وتحسّن صناعة السفن في أوروبا، وكبر حجمها، ومنها سفن الكرفال ذات السرعة أكثر، والأشد مقاومة لمواجهة العواصف في المحيطات، إلى جانب الأفكار الجديدة في ميدان الفلك، والجغرافيا، والسير في البحار والمحيطات، وحبّ المغامرة والرحلة، خاصة بعد عودة ماركو بولو من رحلته إلى الصين عام 1295م، كما لا يمكن إغفال حركة إحياء العلوم والمعارف في أوربا مع النهضة الأوربية، وانتشار حركة الترجمة خاصة للتراث اليوناني[2].

02- انطلاق الأوروبيين في "حركة الكشوف":

2-1- الدور البرتغالي:

كان لظهور البرتغال كقوّة استعمارية عاملا هاما لتحقيق فكرة الوصول إلى الشرق بالدوران عبر إفريقيا، لهذا نجدها وجّهت اهتمامها إلى البحر الممتد إلى الغرب منها، فدخلت في صراع مرير مع المسلمين والإسبان على حد السواء لتثبيت مركزها في شبه الجزيرة الإيبيرية، بعدما تحصلت على استقلالها عام 1385م.

انتقل البرتغاليون – في غمرة الحماس الوطني عقب الاستقلال- إلى توجيه اهتمامهم نحو الكشف الجغرافي، من أجل التوسع والاستعمار، واستكمال حروبهم الصليبية، ومطاردة المسلمين منذ مطلع القرن 15 م بقيادة **هنري الملاح(1393-1460م)** الذي اهتم منذ صغره بالملاحة فاستقطب

[1]- شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000، ص ص18، 20.

[2]- أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص70.

الفلكيين وراسمي الخرائط والبحارة من صقلية وايطاليا، وأقام أيضا مرصدا ومدرسة بحرية وأرسل بعثات عديدة إلى شواطئ إفريقيا تمكن خلالها من احتلال مدينة **سبتة(Ceuta)** سنة 1415م/818هـ، ثم انتقل إلى سواحل ريودي أورو(Rio de oro)(واد الذهب) بقيادة **قونزالفس GONZALVES** سنة 1436م، ومنها إلى **جزر الرأس الأخضر** سنة 1445م، وبعدها بعام وصلوا إلى مصب نهر السنغال، ثم إلى سواحل خليج غينيا[1]، وفي عام 1487م تمكن **بارتيليمو دياز (Bartholomew Diaz)** من الوصول إلى أقصى الطرف الجنوبي للقارة، رأس العواصف، لكن الظروف التي واجهته اضطرته للعودة إلى البرتغال في ديسمبر 1488[2]، وبعد عشر سنوات تمكن **فاسكو دي غاما V. degama** على رأس ثلاث سفن و 160 بحارا من اجتياز رأس العواصف (الرجاء الصالح) (Cape of good/hope) في نهاية 1497م والوصول إلى ميناء **كاليكوت** جنوب غرب الهند في ماي 1498م، والتي كانت مركزا تجاريا رئيسا لتجارة التوابل الشرقية[3].

عزّزت البرتغال موقعها في الهند، بتجهيزها لحملة أخرى بقيادة بيدرال فايز كابرال(Pedral Varez Cabral)، والتي انحرفت بسبب الرياح إلى ساحل البرازيل سنة 1500م، قبل أن تكمل رحلتها إلى الهند، وإقامة حصن ومخزن كبير على ساحل كليكوت(Calicut)، وبتثبيت أقدامهم في الهند، انتقل البرتغاليون إلى اكتشاف مجالات التجارة في جزر الهند الشرقية، فأقاموا مركزا تجاريا في ميناء **مالقة**، وبرحلاتهم اللاحقة وصلوا إلى سواحل **الصين** عام 1516م، وهناك أقاموا لهم مركزا بجزيرة **ماكاو** عام 1552م، وفي عام1542م وصلوا إلى **جزر اليابان**.

---

[1]– السيّد يوسف نصر: الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية حول العالم بين الاستعمار والاستغلال، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007، ص ص 18، 21.

[2]– نفسه: ص22، 23.

[3]– حول رحلة فاسكو دي غاما، والمحطات التي توقف فيها إلى غاية وصوله للهند ثم عودته للبرتغال عام 1503، انظر:

– نفسه: ص ص28، 49.

2-2- الدور الإسباني:

دخل الإسبان ميدان التوسع بعد أن تمكن المغامر الجنوي ذي الأصول اليهودية **كريستوف كولمبس (Christophe Colomb)** من إقناع الأميرة إيزابيلا بجدوى مغامرته ورحلته[1]، فانطلق في 03 **أوت 1492** على رأس ثلاث سفن قاصدا **جزر البهار (the spice isle)** التي كان يطلق عليها آنذاك **كتاي cathay** أو **سيبانقو cepango**، ودامت الرحلة إلى الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر، فوصلوا يوم 12 أكتوبر إلى جزر البهاما(the Bahamas)، ومنها إلى **هايتي (Haiti)(في 28أكتوبر)**، وفي **مارس 1493** عاد إلى اسبانيا مصطحبا معه الهنود وسبائك الذهب، ثم قام برحلات أخرى، دون أن يدري أنه وصل إلى عالم جديد، وخلال رحلاته هذه كان هدف كولومبس الوصول إلى الثروة والمجد ولذلك فإنه انقلب على عقبيه في معاملته لسكان المنطقة[2].

بعد وصول كولمبس ظن وتوهم أنه وصل إلى جزر الهند (جزر التوابل)، فانتاب البرتغاليين القلق، فاحتكم البلدان إلى البابا **الكسندر السادس Alexander VI**(1431- 1503م)، وأمضيا معاهدة **توردیسلاس Tordeselass** Treaty of في جوان 1494 ، وبموجبها تم اقتسام المناطق المكتشفة، أو المناطق التي وصلوا إليها، والمزمع الوصول إليها مستقبلا(سبب احتلال البرازيل)، مع تحديد خط يمر غرب جزر الرأس الأخضر(خط طول 57غربا)؛ فالمناطق الواقعة إلى غربه من نصيب اسبانيا، والواقعة إلى شرقه من نصيب البرتغال[3].

واتفق الرحّالة البرتغالي **ماجلان** مع الملك الإسباني عام 1518، من أجل السير نحو جزر التوابل في الهند الشرقية عن طريق الغرب، لتنطلق رحلته عام 1519، بالسير غربا عبر المحيط الأطلسي حتى أمريكا الجنوبية، ويعبر المضيق الذي سمّي باسمه(ماجلان)، ثمّ المحيط الذي سمّاه

---

[1]- السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص ص87، 97.

[2]– انظر رحلات كولمبس: –نفسه: ص ص 99، 111، وأيضا: – جلال يحي: المرجع السابق، ص ص204، 208.

[3]– جلال يحي: نفسه، ص 208، 209.

الهادي(Pacifique)، ويصل إلى بعض الجزر في البحر الصين، والتي أطلق عليها اسم الفلبين نسبة إلى فيليب ولي العهد[1].

2-3- الدور الانجليزي:

دخلت انجلترا ميدان الكشوف متأخرة، لكنها استفادت من عمليات الكشوف البرتغالية والاسبانية في العالم الجديد؛ فمع نهاية القرن 15م(1497م) أرسل الملك **هنري السابع**(1485-1509م) الملاح الإيطالي **جون كابوت J.Cabot**، وأبنائه الثلاثة في رحلة بحرية عبر الأطلسي غرب **إيرلندا**، وتمكّن من الوصول إلى الأرض الجديدة **(نيوفوندلاند)** و**كندا**، وعاد بعدها إلى انجلترا وسمي "أمير البحر العظيم"[2]، وفي فترة **هنري الثامن**(1509-1547م) لم تهتم انكلترا بالكشف الجغرافي، لكن البحار **جون هوكنز**(John Hawkins) (1532-1595م) قام بحملات تجارية على طول سواحل غينيا من أجل الذهب والرقيق.

2-4- الدور الفرنسي:

دخلت فرنسا على غرار انجلترا ميدان الكشوف الجغرافية متأخرة؛ بسبب حرصها على بناء إمبراطوريتها في أوروبا، وكان وصولهم إلى العالم الجديد مع منتصف القرن 16م؛ فقد دشّن الملاّح الفرنسي **كارتييه** هذه الحركة عام 1524 بالوصول إلى شواطئ كندا واكتشاف مصب نهر سانت لورنس، وبمطلع القرن 17م(1603م) وصلت بعثة **شامبلين**(**Champlein**) إلى ما يسمى اليوم كندا، وفي 1608م أسّسوا مدينة **كيبك**(**Québec**)، التي أصبحت تسمى عاصمة فرنسا الجديدة، وبعدها وصلوا إلى **هايتي**(**سان دومينيك**) عام 1655م[3].

---

[1]- أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص81، 82.

[2]- السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص ص162، 164.

[3]- أشرف صالح محمّد: المرجع السابق، ص89.

وفي عام 1673م استطاع المستكشف **لويس جولييه(L.Joliet)** (1645-1700م) رسم خريطة لجزء كبير لأعالي نهر المسيسيبي، ونتيجة هذه الكشوفات امتدت المستعمرات الفرنسية من كندا إلى نيو أورليانز في شكل هلال يحيط بالمستعمرات الانجليزية على ساحل الأطلسي.

2-5- الدور الهولندي:

رغم انشغال الهولنديين بثورتهم ضد الإسبان منذ عام 1566م، فإنّهم قاموا بكشوف جغرافية بدأتها في نفس العام الذي استقلت فيه عن إسبانيا عام1598 [1]، ومن العوامل التي شجعتهم على ولوج هذه الحركة الموقع الجغرافي لهولندا على نهر الراين الذي يخترق أوروبا، والرغبة في منافسة البرتغاليين في تجارة التوابل والذي دفعهم لتأسيس شركة الهند الشرقية عام 1602، إضافة إلى ضعف البرتغال على يد الإسبان[2]، لذلك سيقوم الملاح الإنجليزي **هنري هدسون** عام 1609م بتكليف من شركة الهند الشرقية الهولندية باستكشاف ممر إلى آسيا، ووصل إلى خليج نيويورك ونهر هدسون الذي حمل اسمه، ونتيجة رحلته هذه أقام الهولنديون مركزا تجاريا في **منهاتن**، ومحطة تجارية في إقليم نهر هدسون.

03- نتائج التوسّعات الأوروبية خلال القرنين 15و16م:

نتج عن التوسّعات الأوروبية، أو ما يعرف بـ "حركة الكشوف الجغرافية"، عدّة نتائج في مختلف المجالات؛ منها:

[1]- – السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص164، 165.

[2]– أشرف صالح محمّد: المرجع السابق، ص 85.

أ – سياسيا:

كانت أهم نتيجة لهذه الحركة هو بداية التوسّع الاستعماري، وظهور ملامح إيديولوجية استعمارية؛ فقد كانت السيطرة على بعض الموانئ واتّخاذها كقواعد عسكرية وتجارية؛ ممهّدة لأن تصبح تلك الموانئ نقطة انطلاق في التوسّع داخل معظم هذه المناطق، بعد اكتشاف ثرواتها، فتكوّنت بذلك امبراطوريات استعمارية؛ كامبراطورية البرتغال، اسبانيا، فرنسا، بريطانيا، وهولندة، وما صاحبه من تنافس بينها، كانت بدايته بتوقيع إسبانيا والبرتغال لمعاهدة **توردیسلاس** (**Treaty of Tordeselass**) في جوان 1494م، وترتّب عن كشف مناطق جديدة في الأمريكيتين وإفريقيا، اندفاع الأوروبيين حتى خيّل للبعض أنّ الاستعمار ظاهرة جديدة[1].

ب– اقتصاديا:

– تحوّل طرق التجارة السابقة بين أوربا وآسيا وفقدان البحر المتوسط لمكانته لصالح المحيط الأطلسي، واضمحلال موانئه بعدما كانت من أكثر موانئ العالم شهرة وازدهارا[2]، وبعدما كان هذا البحر مهدا للحضارات القديمة ومجالا لتبادل الأفكار والسلع[3]، وهو ما أضر بمصالح الدويلات والمدن الايطالية وعلى الخصوص جنوة، والبندقية، وبعض موانئ البحر المتوسط كمرسيليا، ولم يستعد البحر المتوسط مكانته جزئيا إلا بعد افتتاح **قناة السويس** سنة 1869م.

– انتقال الثروة ونهوض الحياة الاقتصادية الأوربية خاصة بين عامي(1520–1560) بسبب تدفق الثروات، وعلى الخصوص الذهب الذي زادت نسبته **12 مرة** عن ذي قبل، وهذا ما سمح ببناء الرأسمالية الأوروبية الحديثة، وكمثال على ذلك تشير الإحصائيات أنه وصل إلى أوروبا (إسبانيا) من

---

[1]– شوقي عطاء الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص22.

[2]- السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص72.

[3] – Claude Delmas : Le monde Atlantique, collection « que sais-je », 02éme édition, Presse universitaires de France, 1965, pp.02,03.

العالم الجديد ما يزيد عن **300 طن** ذهب، و**25 ألف طن** فضة بين (1503–1660م)، إضافة إلى ازدياد الطلب على السلع الشرقية، وسلع العالم الجديد، وما نتج عنها من أرباح كبيرة للأوروبيين.

– ظهور **التجارة الثلاثية(triangular trade)** التي ساهمت في تنشيط الرأسمالية وزيادة تراكم الأموال؛ فكانت السفن الأوروبية تخرج من موانئها محمّلة بسلع مختلفة منها الخمور، البارود، والأسلحة والأقمشة وهي ذات نوعية رديئة في معظمها، نحو موانئ إفريقيا لتُفرغ حمولتها هناك، وتشحن العبيد نحو العالم الجديد وهناك تُفرغهم، وتعود إلى أوروبا محمّلة بالسكر والتبغ والكاكاو وغيرها[1].

– ظهور طبقة البرجوازية(التجّار الأغنياء)، وتدهور مكانة النبلاء، والذي كانت من نتائجه تزايد دور المصارف والبنوك؛ وذلك بتوظيف أصحاب الأموال(التجّار) أموالهم في البنوك مقابل فائدة ثابتة، فتكدّست رؤوس الأموال لدى فئة قليلة من كبار التجّار وأصحاب البنوك، مكوّنة **الرأسمالية التجارية المالية**، وهي مرحلة قبل ظهور **الرأسمالية الصناعية** في القرن 19م[2].

---

[1]– من ذلك نجد أنّ هولندا شهدت سنوات مجد فعلي على مدى أرعة قرون؛ فقد كانت السفن الهولندية تبحر من أمستردام وميدل برج وغيرهما، وتمضي ذهابا ومجيئا على طول شاطئ إفريقيا الغربي بغرض التجارة، كما تاجروا بالرقيق؛ فعندما سيطروا على برنامبوكو في البرازيل عام 1620، تأكدوا من أنّهم لن تقوم لهم مزارع هناك دون الرقيق الإفريقي، وكانوا حينها يتلون البرتغال في كلا الجانبين من الأطلنطي، انظر:

– عايدة العزب موسى: العبودية في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1424هـ/2004م، ص47.

[2]– حول نشوء النظام الرأسمالي من هذه الحركة، وتطوّره، انظر:

– جويس أبلبي: الرأسمالية ثورة لا تهدأ، تر: رحاب صلاح الدين، مراجعة: محمّد فتحي خضر، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص ص139، 143.

ج- علميا:

ساهم الاحتكاك والتماس بين أوروبا والقارات الأخرى، في تقدّم بعض العلوم منها علم الاجتماع، وتقدّم فن رسم الخرائط، وعلم الفلك، إلى جانب ظهور علوم جديدة كعلم الأنثروبولوجيا، واكتشاف نجوم جديدة، إلى جانب ترسيخ نظرية كروية الأرض[1].

د- اجتماعيا وثقافيا:

- إبادة العناصر الأهلية واضطهاد السكان الأصليين في مختلف المناطق التي وصلها الأوروبيون، بدءا بإقدام فاسكو دي غاما بإحراق مركب للحجاج يحمل عشرات الرجال والنساء والأطفال، وقيامه بأسر حوالي 800 بحارا وشنقهم في أحد مراكز الهند.

- استقدام الزنوج لاستغلالهم في أعمال المناجم والزراعة على يد البرتغال أولا، ثمّ بقية الدول الأوربية، وقد بلغ عدد العبيد **20 مليون** خلال ثلاثة قرون، وبذلك نقل الأوروبيون تجارة الرقيق من التجارة المحلّية إلى النطاق العالمي الواسع[2].

- تزايد الهجرة الأوروبية إلى "العالم الجديد"؛ فاستقرّ **الأنجلوسكسون** في أمريكا الشمالية، و**اللاتين** في جنوبها، وما صاحبه من اختلاط بالعناصر الأخرى، مخلّفا **المولّدين(métis)**.

- انتشار المسيحية بين سكان المناطق التي وصل إليها الأوروبيون.

---

[1]- كانت مشكلة كروية الأرض قد أشير إليها في اليونانية القديمة، وأغفلت بعد ذلك، ليتم إحياؤها في القرن19م، وفي عام 1474 قام ملك البرتغال بتعيين لجنة للتحقق كان من أفرادها الرياضي المشهور باولو توسكانيلي(Paulo Toscanelli)، وقدّمت اللجنة تقريرا جاء فيه: "بكلّ تأكيد فإنّ العالم كروي، فالذي يسافر من الشرق سيصل إلى الغرب، والعكس بالعكس " Vice-Vesa""، انظر:
- السيد يوسف نصر: المرجع السابق، ص90.

[2]- ومنذ القرن 19 وما بعده، أظهر الأوربيون أنفسهم كمحرّرين للعبيد، لكن سبب ذلك أنّهم لم يكونوا بحاجة إليهم، فتمّ الاستغناء عنهم، انظر:
- نفسه: ص88. وأيضا: - جويس أبلبي: المرجع السابق، ص ص143، 146.

المحور الثاني

تشكّل الإمبراطوريات الاستعمارية

من القرن16م إلى القرن 20م

المحـــور الثـــاني: تشـــكّل الإمبراطوريـــات الاســـتعمارية مـــن القـــرن 16 إلـــى نهايـــة الحـــرب العالمية الأولى:

سمحت الغزوات والحملات الأولى باحتلال مناطق ومراكز هامّة على سواحل إفريقيا وآسيا، إلى جانب الاستيلاء على أجزاء هامّة من القارة الأمريكية (العالم الجديد)، وقد انطلق الأوروبيون من تلك المواقع في نهب ثروات هذه البلدان والشعوب، وفي انتزاع التجارة العالمية من أيدي الآسياويين والعرب والمسلمين والأفارقة والإيطاليين، وتمّ لهم ذلك بين نهاية القرن 15م ومنتصف القرن 17م.

وبانطلاق الثورة الصناعية مع نهاية القرن 18م، انتقل مصدر الثروة من التجارة إلى الصناعة، فصحبها تغيير وتكييف في طرق ووسائل التوسع الاستعماري[1]، ومع نهاية القرن 19م إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، والتوسّع الصناعي الذي شهدته أوروبا الوسطى والغربية خاصّة ألمانيا وإيطاليا، أدّى ذلك إلى كساد اقتصادي أو أزمة اقتصادية، جعلت الأوربيين يعملون على توسيع نفوذهم من خلال تطوير وسائل الهيمنة والسيطرة، وهو ما يطلق عليه الانتقال من مرحلة الرأسمالية الاستعمارية إلى الإمبريالية؛ والتي جسّدتها نتائج مؤتمر برلين الثاني (1884-1885م) باقتسام ما تبقّى من قارة إفريقيا.

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى دخلت أوروبا مرحلة جديدة تزامنت مع تزايد الوعي التحرّري، دفعها إلى تحضير أدوات وطرق ووسائل جديدة من أجل مواصلة السيطرة والهيمنة على شعوب الجنوب؛ فكان الانتقال من الاحتلال والاستيطان إلى الحماية والانتداب، ثمّ الوصاية في نهاية الحرب العالمية الثانية.

---

[1]- زاهر رياض: استعمار إفريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ/1965، ص126.

01- الإمبراطورية الاستعمارية البرتغالية:

كان هدف الاستعمار البرتغالي في نهاية القرن 15م والنصف الأوّل من القرن16م، هو البحث عن طريق جديد للوصول إلى أماكن تجارة الشرق[1]، ومحاصرة العرب والمسلمين وحلفائهم الإيطاليين، فأقاموا من أجل سلسلة متكاملة من المحطّات والمراكز التجارية، تسندها حاميات عسكرية على طول السواحل الإفريقية إلى الهند؛ وعقدوا العزم على الحيلولة دون أن يكون البحر الأحمر خطا تجاريا بين الشرق والغرب، انطلاقا من رغبتهم حرمان المسلمين من مزاياه الاقتصادية، وسعيهم لاحتكار جارة العالم بين الهند والغرب عن طريقه[2].

سمحت هذه الإنجازات للبرتغاليين بتأسيس أوّل مستعمرة لهم في الشرق الأقصى، ومنها توغلوا نحو الشرق خاصّة بعد تفوّقهم على التحالف الثلاثي، المكوّن من المماليك والعثمانيين وسلطان كوجرات بمساعدة البنادقة، في معركة **ديو(Diu)** البحرية بالهند عام 1509م بقيادة القائد **دي ألميدا**(F. de Almeida)[3] الذي قتل فيها، وسمحت سياسة خلفه – نائب الملك بالهند– **ألفونس ألبوكرك** (A.Albuquerque)(1509–1515)، من السيطرة على جزر التوابل، ومراكز استراتيجية؛ مثل **غوا** (Goa) بالهند سنة 1510م، و**مالقة**[4] سنة 1511م، و**تيمور** سنة 1514م، وهي أغلى جزر أندونيسيا قاطبة في التوابل، ثمّ السيطرة أيضا على **هرمز**[5]، و**كولومبو** عام 1519م[6]، إضافة

---

(1)– السيّد يوسف نصر: الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية حول العالم بين الاستعمار والاستغلال، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007، ص18.

(2)– عبد الله عبد المحسن سلطان: البحر الأحمر والصراع العربي– الإسرائيلي، ط02، سلسلة أطروحات الدكتوراه(7)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص48، 49.

(3)– يعتبر أول نائب لملك البرتغال في الهند، حكمها ما بين 1505–1509، وقتل في معركة ديو البحرية على أيدي القوات المملوكية، فعيّن ملك البرتغال مكانه ألفونسو ألبوكيرك، انظر: – السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص60.

(4)– **مضيق مالقة**(le détroit de Malacca): يربط بين المحيط الهندي وبحر الصين.

(5)– **مضيق هرمز(Ormuz)**: مضيق يفصل بين مياه الخليج العربي(بحر عمان) والخليج الفارسي.

(6)– السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص ص60، 62.

إلى استقرار أولى القواعد الدائمة في **البرازيل** عام 1530م، بعدما وصلها **كابرال**(Pedro Cabral) عام 1500م.

وإلى غاية نهاية القرن 16م شملت سيطرة البرتغاليين سواحل كثيرة من إفريقيا الغربية، انطلاقا من مراكز وموانىء على الساحل الجنوبي للمغرب الأقصى إلى شرق إفريقيا والمحيط الهندي، فأقاموا قلعة **بلواندا**(أنغولا)، كما أسّسوا عام 1507م، قلاعا في **موزمبيق** و**مومباسا**(Mombasa) على الساحل الكيني، كما كان لهم استقرار بجزيرة **مدغشقر**، التي ظهرت على خرائطهم بدءا من عام 1502[1].

وهدف البرتغاليون للوصول إلى الأماكن المقدّسة وتدميرها؛ وفي هذا كتب القائد **ألفونس ألبوكرك** (A.Albuquerque) قائلا في رسالة أرسلها من الهند إلى حكومته في لشبونة: " لو تمكّنا من أخذ مدينة مالقة من أيدي المور لأمكننا بهذا تدمير القاهرة ومكة تجاريا وعسكريا، ومنعنا فينيسيا من إحراز بهاراتها، إلا إذا اشترتها من دولة البرتغاليين"، وقال أنّه "لو حرمنا العرب من هذا العمل فإنّ سوقهم القديم سوف لا يحتفظ لهم، ولو بميناء واحد، ولا بمكان مناسب في كلّ هذه الأرجاء، يمكنهم من مواصلة تجارتهم في تلك الأشياء"[2].

ويعود سرّ نجاح البرتغال إلى قوّة نيران المدفعية لديهم، إلى جانب سياسة التقتيل والإرهاب المنتهجة من طرفهم، والتي فاجأت جميع الشعوب الأخرى، واستعمالهم للخديعة والوسائل الخسيسة؛ كشراء الذمم واستخدام المرتزقة، كما انفرد البرتغاليون بميزة أخرى، وهي أنه البلد الأوروبي لم يخض صراعًا على ظهر القارّة؛ ممّا ترك لها ميدان العمل واسعا، إلى جانب استغلالهم لتفكك وصراع هذه الدول وتناحرها فيما بينها، كما هو الحال لدى أسرة المغول في الهند، وأسرة منج في الصين.

---

(1) – Hubert Deschamps : histoire de Madagascar– avec 13 cartes et 31 photographies, troisième édition, éditions Berger–Levrault, Paris, 1965, pp.63, 65.

(2)– السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص72.

وحصل البرتغاليون نتيجة ذلك على ثروات ومغانم كثيرة، وأرباح ضخمة، من تجارة الذهب والسكر والتوابل وغيرها، وقدّر ألبوكرك أرباح العرش البرتغالي – بالعملة المستعملة آنذاك– بـ **مليون كريزيدوس**(Cruzodos)، وأصبحت لشبونة أغنى مدينة في أوروبا خلال النصف الأول من القرن 16م، إلى جانب أنّ البرتغاليين كانوا أوّل من دشّن تجارة الرقيق سنة 1442م بـ **أوري دي أورو** (ساحل الذهب) على الساحل الأطلسي، خلال القرون الثلاثة اللاحقة؛ أي القرن16، 17، و18م، ويقدّر المؤرّخون عدد العبيد الذين نقلهم البرتغاليون من أنغولا خاصة نحو البرازيل ما بين(1500 و1820م) بحوالي **04** إلى **05** ملايين عبد، وهو ما تجسّده المقولة المشهورة **(لا وجود للبرازيل دون سكر، ولا وجود للسكر بدون أنغولا)**[1].

وكان استمرار البرتغال كدولة مسيطرة راجع إلى اعتمادها على التوابل في القرن 16م، والسكر والعبيد خلال القرنين 17و18م؛ وفي هذا يقول أحد المؤرّخين: " يُمكننا القول أنّ وجود البرتغال كأمة مستقلة مرتبط أساسا بالثروات التي يحصل عليها من التجارة البرازيلية، الذهب منذ عام 1684م، والماس منذ عام 1728م، ممّا سمح باستمرار الإمبريالية البرتغالية".

إلاّ أنّ ما يلاحظ أنّ البرتغال لم تستفد من هذه الثروة كثيرا، واستأثر بها التجّار والمغامرون وأفراد الطبقة الحاكمة، ولم توجّه لتطوير البلاد وخلق ثروة وطنية حقيقية[2]، وهو ما أدّى إلى انهيار الإمبراطورية البرتغالية بالسرعة التي ظهرت بها؛ فرغم هذه الثروة نجد أنّ البرتغال شهدت مجاعات عامي 1503و1504م، والطاعون سنة 1505م، كما كان البرتغاليون يستوردون الحبوب من فرنسا

---

[1]– وصل النشاط البرتغالي مداه في تجارة العبيد، حتى أنّ أنغولا – أشهر مستعمرات البرتغال– تعني بالبرتغالية "الأم السوداء"، نظرا لما كانت تصدّره من عبيد إلى البرازيل المستعمرة البرتغالية في ذلك الوقت، انظر:

– يحي محمّد طاهر الغزاوي: مؤتمر بروكسل 1890، الوثيقة العظمى لعتق العبيد، تقديم: ماهر شعبان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2020، ص49، 50.

[2]– أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص75.

وإفريقيا الشمالية وبلاد الفلاندر، وفي الوقت الذي كانت البرتغال تنقل الرقيق من سواحل غينيا لتشغيلهم، كان البرتغاليون يهاجرون نحو غرب إسبانيا بحثا عن العمل.

انهارت الامبراطورية البرتغالية بسرعة؛ وخسرت أراضيها في أمريكا الجنوبية في ذروة الاستعمار الأوروبي في ق19م، على غرار البرازيل عام 1822م، وخسرت أيضا معظم قواعدها في آسيا، ممّا جعل البرتغاليين يوسّعون مناطقهم الاستعمارية في إفريقيا، مثل: **الرأس الأخضر، غينيا بيساو، أنغولا، وموزمبيق**، عقب قرارات مؤتمر برلين الثاني 1884-1885[1].

ويعود ضعف البرتغال وانهيار إمبراطوريتها إلى عدّة أسباب[2]؛ منها :

- الاعتماد بكثرة على العبيد والمرتزقة، سواء في الميدان الاقتصادي أو الحروب؛ بسبب قلة السكان (1.5مليون نسمة في النصف الأول من القرن16م).

- فساد إدارة المستعمرات.

- انتشار الرشوة والمحسوبية بين الحكام.

- ارتفاع نسبة الوفيات بين البرتغاليين في الشرق، بالإضافة إلى مقتل أكثر من 100 ألف شخص من إجمالي سكان لشبونة المقدر بـ275ألف نسمة؛ بسبب زلزال عام 1755م.

- تعصّب البرتغاليين وقسوتهم ضد أهالي البلاد التي نزلوها؛ ممّا أنهك قوتهم، أمام ازدياد ثورات الأهالي.

- انتشار عادة الكسب السريع التي نخرت المجتمع البرتغالي، وتسبّبت في تسرّب كميات كبيرة من الذهب، بعد تزايد الطلب على استيراد السلع الكمالية والمصنّعة من الدول الأوروبية.

- نهضة وتفوّق كلّ من هولندا وانجلترا، اللّتان نافستا البرتغال في الميدان التجاري، ثمّ استولتا على ممتلكاته بعد احتلال إسبانيا البرتغال عام 1580م إلى غاية 1640م.

---

[1]- زاهر رياض: المرجع السابق، ص179، 180.

[2]- انظر بعض هذه الأسباب: - السيّد يوسف نصر: المرجع السابق، ص ص64، 70.

02 – الإمبراطورية الاستعمارية الاسبانية:

تقع أغلب ممتلكات الإمبراطورية الاسبانية خارج إفريقيا وآسيا، في العالم الجديد؛ لأنّ طرق رحلاتهم كانت في اتّجاه الغرب، من أجل منافسة خصومهم البرتغاليين؛ فمنذ نجاح رحلة ومغامرة **كريستوف كولومبس** في الوصول إلى "العالم الجديد"، ركز الإسبان أهدافهم في الاستيلاء على الذهب والفضة ومختلف المواد الثمينة عموما، وهو ما أكّدته رسالة كولمبس التي بعث بها من **جامايكا** إلى الملكة عام 1503م، يقول فيها: "إنّ الذهب شيء ساحر، ومن امتلكه فقد امتلك كلّ ما يرغب فيه، بل يستطيع المرء بالذهب إدخال الأرواح إلى الجنة".

أنشأ الإسبان أولى مستعمراتهم في **كوبا** منذ 1511م، ومنها أخذوا في التوسّع؛ فقد انطلقت منها عام 1519م حملة إسبانية بقيادة **فرناندو كورتيز**(F.Cortez) لغزو **المكسيك**، تمكّن كورتيز خلالها من تأسيس مدينة على خليج المكسيك، عرفت باسم **فيراكروز**(Veracruz)، ومن هذه المدينة زحف على العاصمة(المكسيك) التي سقطت بيده عام 1521م، وبسقوطها خضعت **المكسيك** للتاج الإسباني، وعيّن كورتيز حاكما عاما عليها[1].

واتّبع **فرانسيسكو بيزارو**(F. Pizarro) نهج كورتيز في الاستفادة من النزاعات المحلّية، فضمّ **البيرو** إلى التاج الإسباني سنة 1535م، وشيّد فيها مدينة **ليما**، واستطاع الإسبان بعد سيطرتهم على معظم أجزاء أمريكا الوسطى، في التوغل إلى أمريكا الجنوبية، فاحتلوا **الإكوادور** عام 1533م، و**بوليفيا** عام 1538م، و**الشيلي** عام 1540م، وأسسّوا مستعمرة فيما يسمّى الآن **جمهورية براغواي** عام 1536م، وبعد فترة استعمرت **الأرجنتين**، خاصّة عندما أنشاؤوا ملكية **ريو دي لابلاتا (Rio de la plata)** بدءا من عام 1776م[2].

---

[1]– السيد يوسف نصر: المرجع نفسه، ص ص115، 120

[2]– انظر الحملات الإسبانية في أمريكا الجنوبية: – نفسه: ص ص129، 143.

وسيطر الإسبان على بعض المناطق في إفريقيا؛ كمدينتي **مليلية**(Melilla)، **وسبتة**(Ceuta) عامي1497م و1580م على التوالي، كما احتلوا موانئ ساحلية أخرى من شمال إفريقيا حتى مدينة طرابلس الغرب شرقا؛ فاحتلوا **المرسى الكبير** ما بين(1505م-1792م)، و**وهران** ما بين(1509م-1792م)[1]، و**بجاية** ما بين(1510-1555م)[2]، وقاد **شارل الخامس**(Charles Quint) حملة على **تونس** عام 1535م[3]، وحاول احتلال مدينة الجزائر عام 1541م[4]، واحتل الإسبان أيضا **جزر الكاناري**، و**ريودوأورو**(الصحراء الغربية) ما بين(1883-1975م)، وتخلّت لها البرتغال عن **غينيا الإستوائية** عام 1778م، كما اعتبرت **الفلبين** أهم مستعمرات الإسبان في آسيا، والتي بسطوا سيطرتهم عليها ما بين (1521- 1898م)[5].

ولم يكتف الإسبان بالسيطرة على المواقع الساحلية، وإنّما توغلوا داخل الأراضي، وبحثوا عن المناجم ونهبوا محتوياتها، واستوطنوا البلاد بعد أن طردوا ونكّلوا بأصحابها، وشنوا ضدّهم حروبا دامية؛ ومن هؤلاء **فرناندو كورتاز**(F.Cortez) الذي قاد حملات إبادة ضدّ قبائل **الأزتيك** و**المايا** بين

---

[1]– الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج01، ص ص208، 214.

[2] –Charles Féraud : « Conquete de Bougie par les Espagnols d'après un manuscrit arabe d'Abou Ali Ibrahim el-Merini », Revue Africaine, n°70-71, 1868, pp.248, 256.

– الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمّد حجّي، محمّد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج02، ص51.

[3]– نشب في أوت 1534م(942هـ) صراع طويل بين الإسبان والأتراك على شواطئ إفريقية(تونس)، كان الباعث عليه تدخل خير الدين بربروس في شؤون تونس، والذي أدى إلى خلع السلطان الحفصي مولاي حسن، وانتهى باحتلال شارلكان مدينة تونس عام 1535، وإعادة السلطان المخلوع إلى عرشه، لكن الحماية الإسبانية شملت تونس وحلق الواد فقط، انظر:

– عبد العزيز الدولاتي: مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس للنشر، تونس، 1981، ص65.

[4]– الحسن الوزان: المرجع السابق، ج02، ص ص38، 40.

[5]– يعرب عبد الرزاق عبد الدراجي: الحكم الاستعماري الإسباني في الفلبين(1521- 1898)، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد45، ج01، نوفمبر2021، ص ص153، 178.

(1519-1521م) وأبادها، ونهب ممتلكاتها، أمّا **فرانسيسكو بيزار**(F. Pizarro) فقد قاد حملات إبادة على قبائل **الإنكا** بين سنوات(1531-1535م) ونهب محتوياتها[1].

واستعمل الغزاة الإسبان في عمليات الإبادة، الأسلحة النارية من مدافع، إلى جانب الخيل، التي لم بعرفها سكان المنطقة، وصحب هذا الغزو عملية نهب واسعة، وتدمير وإتلاف كنوز تلك الشعوب وثمرة جهود آلاف السنين، تحت ستار نشر الحضارة، والأخطر هو قيام الغزاة بعملية إبادة شاملة ومنظمة ضدّ الهنود الحمر؛ ومن الأمثلة على ذلك أنّه عند وصول كريستوف كولومبس إلى منطقة **هايتي**(سانت دومينغ) وجدها مأهولة بالسكان، الذين قُدّر عددهم بنصف مليون نسمة، لم يبق منهم عام 1510م إلا **50ألف**، وفي عام 1530م لم يبق إلا **16ألفا** فقط، وبعد عشر سنوات؛ أي سنة 1540م لم يبق **ولا واحد منهم**، فلقد قتلوا جميعا، ومن مجموع 6.5 مليون نسمة من الهنود الحمر عام 1500، انخفض عددهم إلى نصف مليون عام 1890[2] ،

إنّ الغزو الإسباني للعالم الجديد يمثل أكبر جريمة في تاريخ البشرية، من حيث أن الإبادة والاجتثاث شمل أكثر من **90 %** من السكان الأصليين **للمكسيك**؛ فمن أصل **22 مليون نسمة** من الأزتيك (من أكبر قبائلهم الشوروك) عام 1519م، لم يبق منهم عام1629م سوى **مليون نسمة** فقط، إضافة إلى ذلك نقل أمراض أوروبية إلى العالم الجديد؛ منها مرض السل، الذي نتج عنه موت مئات الآلاف من السكان، إلى جانب استغلال هؤلاء ومعاملتهم بقسوة في مناجم الفضة بالبيرو وغيرها...، كما تعرّضت آلاف نساء الهنود الحمر للاعتداءات؛ ممّا خلف أجيالا من المولّدين.

---

[1]– نعوم تشومسكي: سنة 501 الغزو مستمر، تر: مي النبهان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1996، ص13، 14.

[2]– يوسف العاصي الطويل: أمريكا...تاريخ من االغزو والإرهاب، مكتبة حسن الحضارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1435هـ/2014، ج03، ص24.

وقدّر الأوربيون والاقتصاديون قيام الإسبان بنهب كمّيات كبيرة للذهب والفضة من أمريكا؛ فما بين 1521 و1660 قدّرت بحوالي 18 ألف طن من الفضة، و200 طن من الذهب[1]، وأكثر من هذا ومن أجل تعويض نقص اليد العاملة لجأ الإسبان مثل البرتغاليين إلى تجارة العبيد، ونقل مئات الآلاف من هؤلاء من إفريقيا إلى العالم الجديد بمباركة الكنيسة الكاثوليكية، التي ضربت عرض الحائط كلّ القيم والممارسات التي دعا إليها المسيح من أجل احترام كرامة الإنسان، فكان الإسبان يعتبرون الهنود الحمر حيوانات؛ وفي هذا يقول المؤرّخ **خوان جيناس دي سبورفيدا**(juan gines de sproveda): " إنّ الهيمنة الاستعمارية هي واجب تقوم به الشعوب الأوربية على الشعوب الأخرى، وأنّ الحرب التي شُنت على الهنود من قبل الشعوب الأوربية المسيحية هي حرب عادلة بسبب جرائم الهنود أنفسهم وغبائهم ووحشيتهم".

وفي نهاية القرن 16م بدأت اسبانيا تضعف شيئا فشيئا على الخصوص بعد هزيمة **الأرمادة** (L'Invincible Armada)، ضدّ الأسطول البريطاني في صيف 1588م، وهزيمتها ضد الهولنديين عام1639م وضد الفرنسيين في معركة **روكروا (recroi)** عام 1643م، وأصبحت قوّة من الدرجة الثانية، ففقدت إسبانيا هيمنتها الأوربية، ثمّ إمبراطوريتها الاستعمارية لصالح هولندا وانجلترا وفرنسا ثمّ الو.م.أ[2]، ولشعوب المنطقة نفسها في القرن 19م، ومن العوامل التي ساهمت في إنهاء السيطرة الإسبانية: الاحتكار التجاري، وانتشار التهريب، والقرصنة، والفساد الإداري، وانتشار الأمراض، وقسوة الإسبان أمام السكان الأصليين.

[1] – Claude Delmas : op.cit., p.19.

[2]– حسن السيّد سليمان: "الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي"، مجلة دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، العدد 02، شعبان 1406هـ/أفريل 1986، ص58.

03 – الامبراطورية الاستعمارية الهولندية:

اشتهرت هولندا – التي كانت تابعة للتاج الإسباني– منذ أوائل القرن 16م بنشاطها البحري والتجاري؛ فلقد حصل الهولنديون من ملك إسبانيا على حق التجارة في ممتلكاته الواسعة فيما وراء البحار، وكوّنوا بفضل ذلك ثروة كبيرة، واكتسبوا خبرات طويلة، وبعد إعلان الاستقلال عن إسبانيا عام 1581م، والذي اعترفت به إسبانيا عام 1648م، بدأ الهولنديون في مهاجمة ممتلكات البرتغال التابعة لإسبانيا، باعتبارها جزءا من إمبراطورية إسبانيا المعادية لهم، وفي نهاية القرن 16م أبحروا باتجاه جزر الهند الشرقية على متن أربع سفن، وذلك عام 1595م، وهناك أقاموا مركزا تجاريا لهم في جزيرة **جاوة**، وكان صاحب المبادرة آنذاك شركة **فان فير** (Van Verre) المنشأة عام 1594م[1].

وبعد نجاح المهمّة الأولى تمّ تجهيز بعثة ثانية عام 1598م ضمّت نحو 80 سفينة، أبحرت نحو هذه المنطقة ومناطق أخرى مختلفة، ليعقب هذا النجاح اشتداد التنافس بين الشركات التجارية عند الشراء في آسيا، وعند البيع في أوروبا، فخافت الحكومة الهولندية على مستقبل وجودها في المنطقة، واعتبرت أنّ التنافس والنزاع مهدّدان لمصالحها، فتدخلت وأدمجت هذه الشركات ضمن شركة واحدة هي **شركة الهند الشرقية الهولندية المتّحدة**(Vereenide Oost – Indishe Compagne) (VOC) عام 1602م، ومنحتها امتياز أو حق الاحتفاظ بجيش وأسطول، وتكوين المستعمرات، والتجارة في المساحة الممتدّة من رأس الرجاء الصالح إلى مضيق ماجلان، وبهذا نلاحظ أنّ الاستعمار الهولندي دخل الميدان عن طريق الشركات التجارية، مؤسّسا بذلك لظهور أوّل احتكار استعماري قومي حديث، ما فتىء أن أصبح نموذجا سارت عليه الدول الأخرى[2].

---

[1] – Hubert Deschamps : op.cit., p.65.

[2]– أشرف صالح محمّد: المرجع السابق، ص 85.

وبعد أن أزاح الهولنديون البرتغاليين من المنطقة، وهزموا الإنجليز، بسطوا سيطرتهم كاملة على تجارة الشرق وخيراته؛ والتي من بينها البُن، الشاي، البهارات، السكر، جوز الطيب، والكافور،.. وغيرها، وأقاموا لهم عام 1619م مركزا تجاريا حصينا في **باتافيا**[1]، التي بنيت على أنقاض المدينة المحطّمة عام 1618م، في عهد الحاكم **بيترزون كون** (Pietrerzon Coen)، ثمّ بسطوا سيطرتهم على مراكز عديدة منها **مالقة** عام 1641م، و**سيلان** عام 1658م، بعد أن انتزعوها من البرتغال، واتّسع تعامل الهولنديين التجاري إلى **الشرق الأقصى**، ما سمح لهم بإقامة مركز تجاري في مدينة **ناغازاكي** عام1639م، ووصل نشاطهم إلى جزيرة **فرموزة**، وفي العالم الجديد تعاملوا تجاريا مع **البرازيل** عن طريق **شركة الهند الغربية الهولندية**(Chartered west india company)، التي أسّست سنة 1621م، ومُنحت احتكار التجارة من جنوب إفريقيا إلى **نيوفندلند** (Newfoundland)، كما تعاملوا أيضا مع الجزء الشمالي للعالم الجديد، وهناك أسّسوا لهم مستعمرة سمّوها **أمستردام الجديدة**(new amsterdam) (حاليا منطقة نيويورك).

وامتد الوجود الهولندي إلى قارة إفريقيا، عندما أقدمت شركة الهند الشرقية الهولندية على إقامة قاعدة بحرية للشركة في طريقها نحو الشرق، فسيطروا على **رأس الرجاء الصالح** cape of good hope، ثمّ أسّسوا مدينة **كيب تاون** عام 1652م، وسيطروا قبلها على **غانا** وأنشأوا بها قلعة **ألمينا** عام 1542م، واستخدموها لتجميع العبيد الأفارقة، كما وصلوا إلى **ناميبيا** عام 1793م، واستخدموا ميناءها **ولفس بي** (Walvisbaai) لنفس الغرض. وقد أرست **مدينة الرأس** (Cape town) لبنة الوجود الهولندي الدائم في إفريقيا، بنشأة **البوير**(Boer) وهم الأفارقة من أصول هولندية، والذين تميّزوا بالعداء الكبير تجاه الشعوب الإفريقية الأصلية، والذين بعد استقرارهم في مدينة الرأس، بدأوا في تحرّكاتهم الاستيطانية والتوسّع تدريجيا؛ بتأسيسهم لمدينتي **الترنسفال**(Transvaal)، و**أورانج**

[1]– هي الاسم القديم لجاكرتا، التي تقع غرب جزيرة جاوة.

الحرّة(Orange Free State)، ومن جهة أخرى ساهم اكتشاف المعادن النفيسة من ذهب وألماس وفحم في تعزيز الوجود الهولندي ثمّ البريطاني في المنطقة[1].

ويعود الفضل في هذا النشاط المكثف والواسع للهولنديين إلى قوة أسطولهم التجاري والحربي، المشكّل من سفن سريعة ذات حمولة ثقيلة وملاحين مهرة، قدّر عددهم عام 1650م بـ **163 ألف بحّار** يعملون على أسطول مكوّن من **16 ألف سفينة**، وبذلك أطلق عليهم **نقلة العالم**(les transporteurs du monde)، كما اعتمد الهولنديون آنذاك طريقة التسيير غير المباشر، التي قلّدهم فيها الإنجليز فيما بعد واشتهروا به، وتتمثل في عقد معاهدات واتفاقيات مع أمراء أندونيسيا طوال القرن16م و17م؛ وبموجبها يقدّمون منتجاتهم وسلعهم التجارية إلى الشركة التي تحدّد لهم الأسعار[2]، وبهذا تمكّنت الشركة من احتكار تجارة التوابل وإلحاق هؤلاء الأمراء بممتلكاتها في ما بعد، كما قام الهولنديون عام 1604م بتعيين حاكم عام في المنطقة يساعده مجلس مكوّن من أربع أشخاص للإشراف على شؤون الشركة هناك، وفي عام 1618م شغل هذا المنصب **بيترزون كوين (P. coen)** (1587-1629) الذي قام بدور هام في بناء الإمبراطورية الهولندية في الشرق، لا يقل عن دور ألبوكيرك بالنسبة للبرتغال.

وما يلاحظ أيضا أنّه رغم ما كانت تحقّقه الشركات التجارية من أرباح، والتي لا تقل في أسوء الحالات عن 25 % كما حدث في عام 1629م، فإنّ أوضاع الفلاحين كانت تتدهور من سنة إلى أخرى. ومع تزايد الفساد الذي أخذ ينخر كيان الشركة، إضافة إلى منافسة الشركات الأجنبية الأخرى وعلى الخصوص الانجليزية منها، فإنّ ذلك أدى إلى تدهور أوضاع شركة الهند الشرقية الهولندية، فاضطر التاج الهولندي إلى الاستيلاء على ممتلكاتها ومخصّصاتها عام 1798م، وأصبحت جزر

[1]– زاهر رياض: المرجع السابق، ص104.

[2]– أشرف صالح محمّد: المرجع السابق، ص 86.

الهند الشرقية تابعة مباشرة للحكومة الهولندية، التي بدورها احتكرت ثروات المنطقة، وسخّرت أهاليها في زراعة الأراضي، وفرضت عليهم أن يضعوا جزءا من أراضيهم، وأياما معلومة في الأسبوع، يقومون فيها بزراعة غلال التصدير تحت إشراف موظفين حكوميين.

وبلغ تعسّف الهولنديين درجة لا تطاق؛ منها ترحيل السكان من جزيرة إلى أخرى، إلى جانب استعمال طريقة العمل الإجباري، وأكثر من ذلك إجبارهم على اعتناق المسيحية البروتستانتية، كما قاموا بإلغاء الزراعات الغذائية، ونزع وإتلاف الأشجار والنباتات التي لا يحتاجونها وعلى الخصوص أشجار القرنفل، ممّا اضطر السكان إلى شراء المواد الغذائية منهم، وهو ما تسبّب في انتشار المجاعات وسوء التغذية والفقر[1]، إضافة إلى تدخلهم في كلّ صغيرة وكبيرة من شؤون الأهالي، والذي لخّصه المؤرّخ **بوسكيه(Bousquet)** بقوله: "لم يبق لها (أي الحكومة) إلا أن تصدر قرارا تحدّد فيه للأهالي ساعة قضاء حوائجهم".

وأدّت هذه السياسة الهولندية، إلى تعدّد الانتفاضات والثورات ضدّهم؛ منها ثورة **جاوة** عام 1746م، وثورتي **أمبوان** و**تيرنات**، واستمرت واشتدّت هذه المقاومة من أجل طرد الأجنبي، خاصّة في القرن 19م؛ منها مقاومة الزعيم **ديباناجار** في جزيرة **جاوة**(1825-1830م)، ثم ثورة **آشن** شمال جزيرة **سومطرة**(1873-1908م).

وعرف النفوذ الهولندي تقلصا، كان من أهم أسبابه اقتصار اهتمام الهولنديين على اغتنام الفوائد الاقتصادية، على حساب تعزيز قدراتها في المجالات الأخرى؛ كتحسين الإدارة السياسية، وتعزيز الأساطيل البحرية، وتسليح الجيوش بالأسلحة المتطورة وحسن توزيعها، في الوقت الذي كانت فيه كلا من انجلترا وفرنسا هما الرائدتان آنذاك في تطوير قدراتها العسكرية البحرية والبرية، فانحصر بذلك

[1]– بعد ارتفاع أسعار البن العالمية، تمّ تحويل الكثير من المزارع في أندونيسيا لزراعته، وكان الأندونيسيين يقدّمونه بثمن زهيد جدا، وكان هذا التحويل يتم على حساب المحاصيل الزراعية الأخرى كالحبوب وغيرها، وهذا ما أدّى إلى وفاة الكثيرين، انظر:
– أشرف صالح محمّد: المرجع السابق، ص86، 87.

التنافس بين فرنسا وانجلترا على مستعمرات الدول الأوروبية الأخرى حول العالم، ومنها المستعمرات الهولندية.

04 – الامبراطورية الاستعمارية البريطانية: (the British Empire)

عرف المحيط الأطلسي منذ نهاية القرن 15م حركة نشيطة ، لم يكن للإنجليز دورا كبيرا فيها؛ لأنّهم اعتمدوا في تجارتهم وتوسّعاتهم على سفن أجنبية وأجانب، كالإيطالي **جون كابوت**(John Cabot)(1450–1498م)، وقد تقوقعت انجلترا على نفسها، ولم تقم بأيّ دور سياسي خارج القارة، إلى غاية النصف الثاني من القرن 16م، حيث عادت إلى الواجهة، وعلى الخصوص عشية معركة **الأرمادة** عام 1588م، وأصبحت دولة منافسة لهولندا والبرتغال، وفي القرن 17م تكثّف النشاط الاستعماري الإنجليزي وعلى الخصوص في الشرق، بعد أن تبنّى الإنجليز نفس الأسلوب الذي طبّقه الهولنديون؛ أي ما يعرف بسياسة الهند الشرقية، ولذلك أنشأوا **شركة الهند الشرقية الإنجليزية** (East India Company) سنة 1600م لتحقيق أطماعهم[1]، ومرّ نشاطهم خلالها بمرحلتين:

– **المرحلة الأولى:** امتدت حوالي نصف قرن، بدأت خلالها الشركة نشاطها بأربع سفن قديمة، ودخلت في صدامات ونزاعات مع خصومها البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين، فتمكّنت من إزالة البرتغاليين، وتحقيق انتصارات على الهولنديين في عدّة مواقع؛ منها: موقعة **كامبييه** سنة 1611م، وفي معارك أخرى سنوات 1619م، 1620م، 1623م، أمّا الفرنسيون فقد وجدت نفسها غير قادرة على مواجهتهم، فاكتفت بإنشاء عدّة مواقع دفاعية، ومراكز للتبادل التجاري على الساحل الجنوبي الغربي، والجنوب الشرقي للهند، كما تمكّنت الشركة في هذه الفترة من السيطرة على الخليج العربي عام 1622م.

[1]– أشرف صالح محمّد: المرجع السابق، ص 91

- المرحلة الثانية:

انطلقت فيها الشركة في عملية التوسّع منذ 1651م، انطلاقا من أهم موقع لها في الساحل الشرقي **مدراس**[1] (Madras) في غرب البنغال، الذي كان محطّ أنظار جميع الغزاة، وفي هذه الفترة تمكّن الإنجليز من هزيمة الهولنديين في حرب (1664-1667م)، وإجبارهم على توقيع معاهدة **بريدا** (Treaty of breda) في 1667م.

وبعد هزيمة الهولنديين تفرّغ الإنجليز لمواجهة الفرنسيين، فكان الصراع شديدا بينهما في الهند وفي العالم الجديد، وفي مناطق أخرى (كالسواحل الغربية لإفريقيا)، واستمر هذا الصراع إلى غاية القرن 19م؛ ففي الهند كانت من بين أسباب الصراع، الوصول إلى احتكار تجارة المنطقة، والتوسّع في أهم المناطق، ولذلك تجلى الصراع من خلال تحالف الإنجليز والفرنسيين مع الأمراء المحليين إلى غاية **حرب السبع السنوات**(1756-1763م)[2]، حين نجح الإنجليز في تقليم أظافر الفرنسيين في المنطقة، وخلا الجو لهم، وانطلقوا في عمليات التوسّع داخل الهند، وتمكّنوا من ضمّ **بلاد السند**[3]، وتمكّنوا من الاستيلاء على **البنجاب** عام 1849م، وأهم انتصار لهم كان على طائفة السيخ، في موقعة **غوجرات** عام 1856م، وبذلك سيطر الإنجليز على شبه القارة الهندية، على الرغم من بقاء جيوب تحت سيطرة دول أخرى (البرتغال، فرنسا).

واستمرت الشركة في الاضطلاع بدورها الاستعماري، إلى غاية عام 1858م؛ عندما نُقلت الصلاحيات الممنوحة لها إلى مكتب الهند التابع لوزارة الخارجية، وذلك في أعقاب الأحداث التي عرفتها الهند في هذه الفترة – والتي سنأتي إليها في درس قادم- قبل أن يتم حلّ الشركة نهائيا في

---

(1) – رابع أكبر مدينة هندية ، تعرف باسم شناي أيضا (Chennai) .

(2)– أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص 94.

(3)– هي حضارة نشأت قبل 4500 سنة في منطقة باكستان حاليا وشمال الهند حول نهر السند. وهي واحدة من أولى الحضارات العالمية العظيمة.

جوان 1874م، ويعقبها إعلان الملكة **فكتوريا**(Victoria) (1837- 1901م) إمبراطورة على الهند عام 1877م[1].

أمّا في العالم الجديد فقد تمكّن الإنجليز من إنشاء ثلاث عشرة مستعمرة فيها، فأسّسوا أوّل مستعمرة لهم عام 1607 في جيمس تاون، ونشبت بينهم وبين السكان المحلّيين حرب عام 1662 انتهت بإبادة معظم هؤلاء السكان[2]، ودخل البريطانيون والفرنسيون في صراعٍ على أمريكا الشمالية سُمّي بحروب الهنود والفرنسيين الأربع، واستمر ذلك الصراع من عام 1689م حتى 1763م، وفي آخر تلك الحروب، انتصرت بريطانيا ونجحت في احتلال معظم الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية.

وكثّف الإنجليز من نشاطهم التوسّعي خلال القرن19م في مناطق مختلفة من العالم؛ فتمكّنوا من استغلال الأوضاع المتدهورة في أوروبا عشية الثورة الفرنسية(1789م) لتوسيع رقابتهم وهيمنتهم على البحار والمحيطات، وكبرى المراكز الاستراتيجية من **الكاب** و**سيلان** إلى **جزر الملوك**(Molquez) (جاوة) التي كانت بيد الهولنديين، وفي مؤتمر **فيينا** سنة 1815 أعاد الإنجليز الجزيرة إلى الهولنديين، بحكم القرابة بين العائلتين المالكتين ، وشملت أيضا هذه الفترة سيطرة الإنجليز على **بورنيو**[3](Brunie)، و**ماليزيا**، و**برمانيا**، و**أستراليا**، و**نيوزيلندة**.

وفي سياق العمل على زيادة روابطها بين إمبراطوريتها والطريق الموصل للهند، احتلت بريطانيا **قبرص** عام 1878، ثمّ **مصر** عام 1882، ومنها توسّعت نحو **السودان** بدءا من عامي **1898، 1899**، أمّا في إفريقيا فسيطروا على عدّة مناطق؛ منها: **جنوب إفريقيا، بوتسوانا، مصر** و**السودان، زامبيا، الكامرون، نيجيريا، سيراليون، غانا، الصومال**، و**أوغندا**، و**كينيا**[4]، كما كان لهم نصيب في

---

[1]- جلال يحي: المرجع السابق، ص428، 429.

[2]- أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص92.

[3]- أكبر جزيرة في آسيا تقع في أرخبيل الملايو ، سياسيا هذه الجزيرة مقسمة ما بين أندونيسيا، ماليزيا، بروناي.

[4]- جلال يحي: المرجع السابق، ص ص 430، 436.

القارة بعد مؤتمر **برلين الثاني**(1884– 1885م)، وأسبق البريطانيون نشاطهم الاستعماري في إفريقيا بعدة حملات استكشافية؛ منها: رحلة **ستانلي**(Stanley) إلى إفريقيا الوسطى وحوض الكونغو ما بين (1874–1877م)، ورحلة **لفنغستون**(Livingstone) إلى إفريقيا الجنوبية، ما بين (1854–1873م)[1].

ورغم هيمنة الليبراليين على مقاليد السياسة في بريطانيا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والذي أدى إلى الاعتقاد بأن التوسّع التجاري أفضل من كسب مستعمرات جديدة، فإن شهية الإنجليز فتحت من جديد لاحتلال المزيد من الأراضي، لمجموعة من العوامل، منها:

– تخوف بريطانيا من بروز قوى اقتصادية جديدة في العالم كالولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، ومن ثمة فإنها أخذت تعمل من أجل الحفاظ على مكانتها.

– وصول سياسيين جدد إلى أعلى هرم السلطة السياسية البريطانية، الداعين إلى تفعيل حركة الاستعمار من جديد، أمثال وزير المستعمرات **تشامبرلين**(Chamberlain)، الذي كان يلح على أهمية العوامل الاقتصادية في السياسة الاستعمارية، ووزير المالية والوزير الأول **غلادستون**(Gladstone)، الذي كان يعتقد أن الله وهبه لبريطانيا لكي يعمل على تقدّمها فتحمّل مسؤولية احتلال **مصر** (1882)، و**ديسرائيلي**(Disraeli) (الوزير الأول بين(1874–1880م) وأشهر رواد التوسّع الإمبريالي البريطاني، والذي أصدر قرارا بإعلان الملكة **فيكتوريا** (Victoria) إمبراطورة على الهند عام 1877م، وشرائه للأسهم المصرية في **قناة السويس**(1875م)، كما ظهر في هذه الأثناء شعراء ومفكّرون من دُعاة الاستعمار، من أمثال **كيبلينغ** (Kipling)[2].

[1]– زاهر رياض: المرجع السابق، ص ص 113، 125.

[2]– جلال يحي: المرجع السابق، ص423، 424.

– أدى فقدان بريطانيا لأهم مستعمراتها الاستيطانية **نيوإنغلند**(Nouvelle Angleterre)(أهم مستعمراتها الاستيطانية في ما يعرف حاليا بالولايات المتحدة الأمريكية) إلى تخوّفها من انتشار عدوى التحرر في باقي مستعمراتها، فعملت على صياغة نظام خاص عرف بـ **الدومينيون**[1]، (Dominion)، الذي طبق بداية عام 1867 في **كندا** ثم في باقي مستعمراتها الاستيطانية(**أستراليا** 1900، **زيلندا الجديدة** 1907، اتحاد **جنوب إفريقيا** 1909) .

– خلق حزام أمني للؤلؤة تاجها الهند، في زمن اشتد فيه التنافس الاستعماري، بعد أن صار العالم كله خاضعا للهيمنة الأوروبية مطلع القرن العشرين، باستثناء إثيوبيا واليابان، فقامت بريطانيا بالهيمنة على المناطق المجاورة للهند(ما يشبه منطقة عازلة من محميات **برمانيا** 1885، **ماليزيا** 1895، شمال **بورنيو**، وفي المنطقة الحدودية **لأفغانستان**) .

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد الدور الذي قامت به بريطانيا في الثورة العربية الكبرى ضدّ العثمانيين، ضمّت كلا من **العراق**، وأكبر جزء من **بلاد الشام** ، تحت ستار الانتداب، تطبيقا لاتفاقية **سايكس بيكو** في أفريل 1916م ، وأيضا تطبيقا لقرارات مؤتمر **سان ريمو** سنة 1920م، وتوصيات عصبة الأمم[2].

وأصبحت بريطانيا متخمة بكثرة مستعمراتها؛ فقد كانت تضم في نهاية القرن التاسع عشر على 25 مليون كم^2، وعلى 390 مليون من السكان، أي ربع سكان العالم آنذاك، لذلك أطلق عليها

[1]– الدومينيون بالإنجليزية Dominion : هي الدولة المستقلة من من دول الكومنولث البريطاني، وبمعنى آخر، هي الدول المستقلة ذاتيا والتي كانت في يوم ما تابعة لسيادة المملكة المتحدة، منشئة لكل من الإمبراطورية البريطانية ودول الكومنولث، ابتداء من النصف الأخير من القرن التاسع عشر. وتشمل العديد من الدول على فترات مختلفة ومنها :كندا، أستراليا، نيوزيلاندا، دومينيون نيوفنلند، اتحاد جنوب أفريقيا، دولة إيرلندا الحرة، باكستان، وهو نظام يبعد بعض المسؤوليات الداخلية عن الوطن الأم، انظر: – جلال يحي: المرجع السابق، ص422، 423.

[2]– حول الدور البريطاني والأطماع في المنطقة العربية إلى غاية انتدابها، انظر:

– محمود حسن صالح منسي: الشرق العربي المعاصر، المعادي الجديدة، مصر، 1990، ص ص05، 19.

" **الإمبريالية البريطانية** "، أو " **الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس أبدا** "، كما أطلق اسم ملكتها فكتوريا على عدّة أماكن في العالم[1].

[1]– جلال يحي: المرجع السابق، ص424، 425.

04- الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية :

بدأ الفرنسيون يتطلعون إلى الغزو والتوسّع منذ وقت مبكر؛ ففي عام **1364م** وصلوا إلى سواحل إفريقيا الغربية، وقامت سفن فرنسية عام **1527** بالابحار إلى الهند الشرقية، وتوقفت أثناءها بمدغشقر[1]، في البحار وفي سنة **1553م** أنشأوا لهم مركزا في جزيرة غوري **(Gorée)**، وأنشأوا شركات تجارية هامّة في القرن **17م**؛ منها الشركة النورماندية عام **1626م**، وفي نفس الفترة انتقلوا إلى النشاط في العالم الجديد، فأسّسوا لهم مركزا تجاريا في مدينة كيبك ***(Quebec)*** سنة **1608م**، وأصبح مركزا لمستعمرتهم الجديدة "فرنسا الجديدة"؛ حيث تجارة الفراء الرابحة .

وتوسّع هذا النشاط في عهد **لويس الرابع عشر**(Louis XIV) الذي كان يلقب بلويس الكبير أو لويس الشمس، وزيادة على سيطرته رسميا على مدغشقر منذ عام 1686م، شملت توسّعاته الهند والهند الصينية، ومناطق أخرى بواسطة شركة الهند الشرقية الفرنسية، والمكوّنة سنة 1664م لتدخل المنافسة في التجارة مع الشرق، فتمكّنت الشركة من إنشاء مركز لها في **بوندي شيري (Pondichéry)** عام1674م[2]، فاشتد الصراع والتنافس بينها وبين الإنجليز برا وبحرا؛ لاعتقادهما أنّ تجارة العالم لها حد معلوم، وأنّ توسّع إحدى الدولتين في تجارتها لا يمكن أن يتم إلا على حساب الدولة الأخرى، وهذا ما عبّر عنه أحد رجال الأعمال آنذاك بقوله: "إنّ تجارتنا سوف تتقدّم وتنمو بالقضاء على تجارة الآخرين".

كما توسّعت المستعمرات الفرنسية في أمريكا الشمالية أكثر فأكثر؛ فبعدما استطاع البحّار الفرنسي **لاسال** اكتشاف نهر المسيسيبي عام 1682، أسّس الفرنسيون سنة **1699م** مستعمرة

(1) – Hubert Deschamps : op.cit., p.67.

(2) – G.Malleterre, P.Legendre : Atlas Colonial– livre atlas des colonies Françaises, librairie ch.Delagrave, Paris, pp.5,6.

لويزيانا في حوض نهر الميسيسيبي[1]، وكانوا قبل ذلك قد بدؤوا في بناء إمبراطورية أصغر، ولكنها أنفع في جزر الهند الغربية (الكاريبي) سنة **1624م** ، ثمّ أسّسوا مستعمرة **سانت دومينيك**(هايتي) سنة **1664م**، لتصبح أغنى مستعمرة سكر في الكاريبي.

وأدركت كلّ من فرنسا وانجلترا أهمّية المستعمرات في اقتصاديات بلديهما؛ وذلك راجع إلى حجم الثروات المتدفقة عليهما، إلى جانب أهمّية المستعمرات في إكساب كلا البلدين القوّة والسيادة على أوروبا؛ وهذا ما يوضحه أحد رجال الحكم الفرنسيين بقوله: "إنّ الإنجليز سوف يسيطرون على البحار بواسطة أساطيلهم، وعلى الأراضي بواسطة ثروتهم، ولسوف تمكنهم مستعمراتهم في أمريكا من فرض سيادتهم على أوروبا، وإنّ فرنسا وحدها هي التي تستطيع أن تحول دون وقوع هذه الكارثة، لذا يجب عليها أن تقف في وجه انجلترا حفظا لسلامة أوروبا، وسلامة فرنسا ذاتها"، واعتبر **روشيليو** (Richelieu)– المؤسّس الحقيقي للسياسة الاستعمارية الفرنسية– أنّ هذه الأخيرة تعتمد على الأفضلية البحرية والاستعمارية لفرنسا؛ من أجل استعادة حدودها الطبيعية واحتلال أراضي جديدة[2].

إنّ التنافس التجاري والاستعماري بين فرنسا وبريطانيا كان طويلا، وشمل البر والبحر على حد سواء[3]، ممّا أدى إلى نشوب عدّة حروب أوروبية؛ نذكر منها: حرب الوراثة الإسبانية(1701– 1718م)، وحرب السبع السنوات، وحرب الاستقلال الأمريكية(1778– 1783م)، إلى جانب حروب أخرى، منها: معركة **الطرف الأغر**(Battle of Trafalgar) سنة **1805م**، ومعركة **أبي قير** سنة **1798م**، وخلال هذه الحروب تمكّنت بريطانيا من تحقيق انتصارات متعددّة، انتزعت بموجبها عدّة مستعمرات، ومراكز استراتيجية فرنسية في أمريكا والهند وإفريقيا، وبذلك أصبحت بريطانيا سيّدة الموقف في الهند وأمريكا، كما أصبحت أكبر قوّة استعمارية في العالم.

---

(1)– أشرف صالح محمّد سيد: المرجع السابق، ص89.

(2) – G.Malleterre, P.Legendre : op.cit., p.01.

(3) – Henri Brunschwig : L'avènement de l'Afrique noire, librairie Armand colin, Paris, 1963, pp.172, 173.

وبعد نهاية الحروب النابولونية، واستقرار أوضاع فرنسا الداخلية وتسوية الكثير من المسائل العالقة في مؤتمر **فيينا** عام**1815م**، ومؤتمر **إكسلاشابيل** عام**1818م**، تفرّغت فرنسا للتوسّع والسيطرة وتحقيق أهدافها، بحجّة نشر مبادىء وأفكار ثورتها(أخوة ، عدالة ومساواة)[1]، فاحتلت الجزائر عام **1830م**، ثمّ انقضت على تونس سنة **1881م**، بعد مؤتمر **برلين الأول** عام **1878م**[2].

وفي نفس الفترة احتلت فرنسا الهند الصينية؛ فقد كانت تراقب باهتمام النشاط الامبريالي الانجليزي في الهند وحول الصين، ودفعها طمعها الى المشاركة في حرب الأفيون إلى جانب انجلترا ضدّ الصين، ثم استغلت نتائج الحرب في الميدانين الاقتصادي و الثقافي بأن أوفدت إلى الهند الصينية – التي كان جزؤها الشمالي تابعا للإمبراطورية الصينية– شركاتها التجارية وعددا من المنصّرين الفرنسيين، تمهيدا لنشر استعمارها في المنطقة، وفعلا احتلت فرنسا **سايغون** سنة **1860م**، ثمّ استولت على أقاليم **الكوشين– شين**، واستغلت أراضيها في زراعة الأرز، كما توسّعت في نفس الوقت نحو الشمال فبسطت نفوذها وسيطرتها على **كمبوديا** سنة**1863م**، و **اللاوس** ثم الاستيلاء على قاعدة **هانوي**، وفي عام **1894م** كانت مجموع الهند الصينية تحت الاستعمار الفرنسي، الذي جعل منها اتحادا فيدراليا يضم الفيتنام واللاوس وكمبوديا و الكوشين– شين[3].

ويعتبر احتلال فرنسا للمغرب الأقصى تتويجا لذلك التوسع الاستعماري، وقد مهّدت فرنسا لاحتلاله عقد عدّة اتفاقيات مع الدول المنافسة لها(بريطانيا، إيطاليا، وإسبانيا)، وعندما أصبح الجو مواتيا لها أقدمت على فرض الحماية على المغرب الأقصى سنة

---

[1]– كانت في الحقيقة لتحقيق الأحلام والطموحات الفرنسية والأوروبية عموما؛ تحت شعار "تقسيم العالم بين شعوب العنصر الأبيض".

« partage le monde entre les peuples de race blanche ».

– G.Malleterre, P.Legendre : op.cit., p.01.

[2]– أحمد رمزي: الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، المطبعة النموذجية، مصر، 1948، ص ص32، 37.

[3]– جلال يحي: المرجع السابق، ص441، 442.

1912م[1]، إلى جانب ما غنمته فرنسا من إفريقيا السوداء جنوب الصحراء ، خلال مؤتمر **برلين الثاني**(1884-1885م)؛ ومن مستعمراتها هناك: **السنغال، ساحل العاج، مالي، والتشاد**[2].

ولم تنس فرنسا هزيمتها على يد المسلمين إبّان الحروب الصليبية- والتي كانت مركزا لانطلاقها- وعلى الخصوص فشل حملة **لويس التاسع**(الحملة الصليبية السابعة) على **مصر** عام **1249م**، ثم **تونس**(الحملة الصليبية الثامنة) عام **1270م**، فجدّدت مشاريعها وحروبها من خلال حملة نابليون على **مصر** سنة **1798م**[3]، ثمّ تدخّلها في بلاد الشام، ودورها البارز في الحرب الأهلية هناك سنة **1865م**، ووقوفها إلى جانب الموارنة المسيحيين ضدّ الدروز ، ثمّ انتدابها على الشام ؛ بموجب اتفاقية سايكس بيكو سنة **1916م** ، ومؤتمر سان ريمو سنة **1920م**، وبمباركة عصبة الأمم، فزحفت قواتها على الشام عام **1920م**[4].

---

[1]- والذي بدأ التمهيد له منذ وقت مبكّر؛ بسبب اختلال الأمن وضعف السلطة وتراجع الموارد، وتدخل السفراء والقناصلة في شؤون الدولة المغربية، وتوقيع معاهدات مع بريطانيا(1856)، وإسبانيا(1861)، ومع فرنسا(1863)، انظر:

- الطيّب البياض: المخزن والضريبة والاستعمار-ضريبة الترتيب1880-1915-، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص ص185، 190.

[2] – Henri Brunschwig : op.cit., pp.175, 177.

[3]- قال جون ماري كاريه عن رجال هذه الحملة أنّهم "...سافروا بنفس الحماس الذي ينطلق به الصليبيون الجدد...لقد كانت فعلا حملة صليبية جديدة بدأته فرنسا الجمهورية عام 1797"، انظر: - زينب عبد العزيز: مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، كمبيوتر ستار، مصر، 1998، ص12، 13.

[4]- محمود صالح منسي: المرجع السابق، ص ص111، 118.

المحور الثالث

نماذج من الحركات التحرّرية

في قارة آسيا

المحور الثالث: نماذج من حركات التحرّر في العالم

أوّلا – الحركة التحرّرية في الصين:

01- تحويل الصين إلى شبه مستعمرة:

كانت للأوربيين معلومات عن الصين الحديثة استقوها من رحلة الإيطالي ماركوبولو في نهاية القرن13م، ومنذ مطلع القرن16م بدأت الأطماع الأوروبية تحوم حول الصين، فكان وصول البرتغاليين إلى المنطقة واستقرارهم بميناء كانتون عام1517م، قبل أن يمنحهم الصينيون مركزا تجاريا بجزيرة مكاو، أقاموا عليه مصانع للأفيون، ثمّ تبعهم الأوربيون الآخرون، فاستقرّ الإنجليز في كانتون(**Canton**)، والفرنسيون في ميناء نينج بو(**Ning po**)[1] ، لكن جشع الأوربيين وسوء نواياهم جعل الحكومة الصينية تقرّر وقف ذلك التعامل الحرّ وتسند كلّ العمليات التجارية مع الخارج في بداية القرن19م إلى شركة كوهونغ (**cohong**)، وأصبحت البلاد شبه منغلقة على الأجانب منذ أن قامت الصين بطرد آخر البعثات اليسوعية في حدود عام 1830م، ولم يسمح بوجود الأجانب إلا في أحد أحياء كانتون، تحت مراقبة "**جمعية تجار كوهونغ وماكاو**"؛ حيث البرتغاليون والإنجليز الذين يبادلون القطن والأفيون بالشاي والحرير.

02- حروب الأفيون[2]:

مع مرور الوقت زادت مشتريات بريطانيا من الشاي الصيني والحرير، ومنتجات أخرى وكانت مجبرة على دفع المقابل نقدًا وليس مقايضة، كما كان يرغب فيه البريطانيون، أمّا الصين فكانت مشترياتها قليلة، عن طريق شركة كوهونغ، وبعد استيلاء بريطانيا على البنغال بالهند، كانت الشركة البريطانية تقدّم مقابل الشاي الصيني القطنيات الهندية والأفيون، وأصبحت الصين تشكو من آثار

---

[1]– طارق أحمد شمس: المرجع السابق، ص146، 147.

[2]– هي حربين، حرب الأفيون الأولى من عام 1839 الي 1842م، في حين كانت حرب الأفيون الثانية مابين (1856– 1860).
انظر هذين الحربين: – هيلدا هوخام: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، تر: أشرف محمّد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص ص284، 304.

ذلك التبادل لأنّه أضرّ بماليتها(أي انخفاض الاحتياط النقدي)، ومن جهة أخرى أضرّ بصحة المجتمع الصيني جرّاء تعاطي الأفيون، فقامت الحكومة الصينية بحضر تجارة الأفيون، فواجهت بريطانيا هذا الإجراء بالتهريب في البداية، وأمام تزايد التهريب لجأت الحكومة الصينية إلى حجز وحرق كميّات هامّة من الأفيون والحشيش، بلغت 45ألف صندوق عام 1839م[1].

استغلت بريطانيا الفرصة من أجل أن تجبر الصين على فتح أبوابها أمام التجّار الأوربيين، فأعلنت عليها الحرب في نوفمبر1839م، وتمكّنت البحرية الإنجليزية من الاستيلاء على جزيرة هونغ كونغ في جانفي 1841م، ثمّ شنغهاي(**Shanghai**) في ربيع 1842م، وموانئ ومدن آموي، تينغهاي، تشوسان، ونينغ بو، وهدّدوا بكين العاصمة، فاضطر الصينيون إلى طلب السّلم وتوقيع معاهدة نانكين (**Nankine**) في 29 أوت 1842م، التي نصّت على:

ـ فتح خمسة موانئ يتاجر فيها الأوربيون بحرّية خاصّة، وهي: شنغهاي، نينغبو، فوتشوا، آموي، وكانتون.

– امتلاك بريطانيا جزيرة هونغ كونغ.

– تقديم تعويضات لبريطانيا قيمتها 21 مليون يوان.

– حق بريطانيا في محاكمة رعاياها داخل الصين أمام محاكم خاصّة، وليس محاكم صينية.

– تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية إلى أقل من 05[2]%.

وفتحت معاهدة نانكين الباب على مصراعيه أمام الدول الأخرى للحصول على نفس الإمتيازات فبموجب معاهدة وانغ هيا(**Wang hia**) سنة 1844م، حصلت الوم أ على امتياز تجاري بفتح

[1]– مجموعة مؤلفين: حرب الأفيون، سلسة كتب تاريخ الصين الحديث، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1979، ص ص1، 18.

[2]– طارق أحمد شمس: المرجع السابق، ص148، 149.

خمسة موانئ ؛ منها كانتون وشنغهاي، وإعفاء قضائي[1]، أمّا الفرنسيون فقد تحصّلوا على امتيازات هامّة أيضا، بموجب معاهدة وامبو(**Wampoo**) سنة 1845م.

وهكذا أصبحت الصين مقسّمة إلى مناطق نفوذ هي:

- الشمال: (منشوريا)(**Manchourie**)، منطقة نفوذ روسية.

- جنوب شرق بكين: (شبه جزيرة شانتونغ)(**Shandong**)، منطقة نفوذ ألمانية.

- أمّا باقي المناطق فكانت منطقة نفوذ بريطانية، ثمّ الوم أ، وفرنسا، كما قامت بريطانيا في إطار سياسة فرّق تسد، ومن أجل إضعاف الصين، بتشجيع منطقة التبت(**Tibet**) على الانفصال عام 1911م، واعترفت بها.

نتج عن هذه الاتفاقيات التي فرضت على الصين ردّات فعل شعبية عارضت هذه الاتفاقيات وانقلبت على حكومة المانشو الصينية؛ فمع تزايد التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية، والكوارث الطبيعية خاصّة فيضانات الأنهار، وعجز الحكومة عن الدفاع على البلاد، اندلعت ثورة الطايبينغ(**TaÏping**) عام 1850م، واستمرّت إلى عام 1864م، بقيادة الزعيم هونغ(**Hong**)، وقد انطلقت من جنوب البلاد، حيث نصّب نفسه إمبراطورا على جنوب البلاد، واستولى على نانكين سنة 1853م، وشرع في عملية إصلاحات زراعية واسعة، وتنمية للصناعة والتجارة في المنطقة، وحاول السيطرة على الشمال (بكين) لكنه فشل في ذلك، وخلّفت أحداث هذه الثورة هلاك حوالي 20مليون شخص سواء بطريق مباشر أو غير مباشر[2]، كما اندلعت ثورة **البوكسير**[3](1899-1901) من

---

[1]- أي محاكمة الرعايا الأمريكيين أمام قضاء أمريكي.

[2]- محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص89، 90.

[3]- قادتها إحدى الجمعيات السرّية المناهضة، والتي تسمّى بي - هو - كيوان(Yi-Ho-Kiuan)، ومعناها "قبضة الوئام والصواب"، ولا يتعلق اسمها بفن الملاكمة لا من قريب ولا من بعيد، انظر: - نفسه: ص ص95، 98.

- فوزي درويش: الشرق الأقصى الصين واليابان، مطابع غباشي، طنطا، مصر، 1988، ص 121.

قبل الفلاحين في شمال الصين، واجتاحوا العاصمة بكين عام 1899، وقتلوا عددا من المنصّرين وأحرقوا الكنائس، فتحالفت الدول الغربية وهاجمت الثوّار وقضت عليهم[1].

وشهدت الصين ثورات أخرى؛ منها ثورات للمسلمين في مناطق كان سو، وشانسي، ويونان[2]، ما بين سنوات(1860-1873م)، فاستغل الإنجليز والفرنسيون الوضع الحرج لانتزاع امتيازات جديدة، فاتخذ البلَدان من حادثة مقتل بعثة كاثوليكية، لقصف مدينة كانتون، والقيام بعمليات حربية معدودة مابين(1856-1858م)، وأجبروا الصين على إمضاء معاهدة تيان تسين (**Tien Tsin**)[3] في 28جوان 1858م، ونفس الأمر بالنسبة لروسيا والوم أ.

وأمام هذا الضغط كان ردّ فعل الصينيين منع نزول المفوضين لتبادل المصادقة على المعاهدة، كما حاولت الإمبراطورية الصينية عرقلت هذه الإجراءات وعدم تطبيقها، فتدخّلت فرنسا وبريطانيا عسكريًا، وأحرقتا قصر الإمبراطور، وأجبرتا الصين على إمضاء معاهدة بكين[4](**Pékin**) عام 1860م، المكمّلة لمعاهدة تيان تسين، كما استفادت دول أوربية أخرى من امتيازات مختلفة، فارتفع عدد الموانئ الخاضعة للأجانب في السبعينات إلى 26 ميناء، وفي نهاية القرن19م ومطلع القرن20م إلى 90 ميناءً، فاحتدمت بذلك معركة تجزئة الصين بين مختلف الدول الطامحة.

---

(1)- طارق أحمد شمس: المرجع السابق، ص149، 150.

(2)- هي مقاطعات إسلامية بالصين، وينتمي المسلمون إلى عشر قوميات بالصين، وينتشرون في القوميات العشرة هذه بشكل أساسي في أربع عشرة مقاطعة، مع وجودهم في كافة أنحاء الصين بنسب وكثافات متمايزة؛ بالإضافة إلى منطقة سينكيانغ التي تعتبر غالبية ساكنيها من المسلمين من قومية الويغور، وهذه المنطقة تشكل سدس مساحة الصين الإجمالية.

حول دخول الإسلام للصين، وأوضاع المسلمين فيها، انظر: - فوزي درويش: المرجع السابق، ص ص22، 27.

(3)- تنص على حريّة المنصّرين، ومحاكمة الرعايا البريطانيين أمام محاكم بريطانية، وحرّية ممارسة التجارة في كافة المناطق وحتى في المناطق الداخلية، واستقبال السفراء والمندوبين البريطانيين والأوربيين دون إجراء مراسيم **الكاوتاو**(وهي مجيء السفير والركوع ثلاث مرات أمام الإمبراطور)، انظر: - محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص91.

(4)- لم يجد الإمبراطور الصيني سوى الهروب والانتحار بشنق نفسه، وترك المجال لأخيه كونغ، الذي لم يكن خبيرا في السياسة، فأبرم معاهدة بكين عام 1860م، ونصّت على: - فتح 11ميناء جديدا، لإقامة تجار ورعايا البلدين، ورعايا مختلف الدول الأخرى. - فرض إقامة علاقات دبلوماسية على الحكومة الصينية، وتمّ هذا لصالح كلّ من فرنسا، بريطانيا، الوم أ، روسيا. - اعتراف الحكومة الصينية بحق الأجانب في المحاكمة من طرف بلدانهم، تأكيدا لما جاء في معاهدة نانكين، إضافة إلى حقّ التنقل داخل البلاد بحرّية، وإقرار تجارة الأفيون، انظر: - نفسه: ص91، 92.

03- معركة الامتيازات الأجنبية:

أظهرت الحكومة الصينية جمودا وسلبية، سواء تجاه الأجانب أو الشعب، فبعد أن فتحت موانئها أمام الأجانب، قام هؤلاء بتركيز نشاطهم حول كلّ ما يخدم التجارة الأجنبية؛ مثل بناء السكك الحديدية، وإقامة موانئ جديدة، وفي نفس الوقت بدأ اهتمامهم باستخراج المواد الأوّلية من باطن الأرض الصينية، وأكثر من هذا أصبح الإنجليز يقومون بجمع الضرائب وفرض الرسوم الجمركية على الموانئ التي يسيطرون عليها، فاحتدم التنافس بين الدول الاستعمارية، وتطوّر إلى نزاعات حربية وتجزئة للصين، وفي هذا الإطار يدخل العدوان الياباني على الصين (أوت1894- مارس1895م)، بسبب تدخل الصين لمساعدة كوريا - التي كانت في دائرة نفوذها- ضدّ عدوان اليابان عليها، وتمكّن اليابانيون من الانتصار في هذه الحرب في معركة بينغ يانغ **(Ping Yang)** البحرية، وأجبروا الصين على توقيع معاهدة شيمونوسكي**(Shimonoseki)**؛ والتي تنازلت بموجبها الصين لليابان على جزيرة فرموزة، وعن شبه جزيرة الياتينغ، وجزر لوشو، وجزر باسكادور، واستقلال كوريا من حماية الصين، ودفع تعويض مالي عن خسائر الحرب(200 مليون تايل)، واعتراف حكومة الصين بأنّ جنوب منشوريا منطقة نفوذ خاصّة باليابان[1].

ورغم تحرّك الشعب الصيني لمقاومة هذه السياسات، والتصدّي لفساد الأسرة الحاكمة وخيانتها وسكوتها، بل ورضاها في أحيان عديدة على عمليات تقسيم الصين، على غرار انتفاضة البوكسير **(الملاكمون)**عام 1899م، والتي كادت أن تقضي على الحكومة وعلى النفوذ الأجنبي معًا، إلاّ أنّ القوى الأجنبية تكتّلت في جبهة واحدة لمواجهتها وقمعها، وتدخّلت جيوش هذه الدول بما فيها الوم أ واليابان، واحتلت العاصمة بكين، واتّفقت على سياسة مبدأ الباب المفتوح**(the open door)**[2].

---

[1]- فوزي درويش: المرجع السابق، ص ص91، 94.

[2]- هو مبدأ سياسي واقتصادي، يقوم بتعهد الدول العظمى بعدم انفراد أية دولة بالحصول علي امتيازات تجارية أو صناعية أو سياسية، يتلخص في حرّية البحار وحرّية التجارة، ثمّ التكافؤ في المعاملة؛ أي محاربة الاحتكار والمعاملة الممتازة وفتح الأبواب المغلقة وتكسير الأسوار الفولاذية التي تفرضها بعض البلاد، وتتمسك بدرجة من الاستكفاء وبما لديها، انظر: - أحمد رمزي: المرجع السابق، ص 13، 14.

وأدّى التنافس الاستعماري على الصين إلى وقوع حرب جديدة بين روسيا واليابان (1904-1905م)؛ بسبب أن روسيا التي لها أطماع ونفوذ في منشوريا، شرعت في بناء خط حديدي يربط مدينة لوبين على حدود منشوريا الجنوبية الغربية بميناء فلاديفُوستوك على بحر اليابان، فاعتبرت اليابان ذلك مهدّدًا لنفوذها في المنطقة، وهاجمت الأسطول الروسي في بحر اليابان وحطّمته، واحتلت ميناء فلاديفوستوك، وأجبرت روسيا على توقيع معاهدة بورتسموث(**Portsmouth**) في 05 سبتمبر 1905م؛ التي تنازلت بموجبها روسيا على مناطق نفوذها في منشوريا الغنيّة بالذهب والحديد والفحم، وتنازلت أيضا على النصف الجنوبي من جزيرة سخالين لليابان، واعتراف روسيا بنفوذ اليابان في كوريا، والتي ستحتلُها اليابان عام 1910م[1].

04- الاستعباد المالي والوصاية السياسية:

أدّت أشكال التنافس والصراع التي قامت على أراضي الصين أو حولها، والغرامات والضرائب المفروضة على الصين، إلى ارتفاع الحاجيات المالية لدى الحكومة الصينية؛ ممّا دفعها إلى الاستدانة، وطلب قروض عديدة[2]، وكان لعجز الميزان التجاري أن دفع البرجوازية الجديدة من كبار التجّار وأصحاب المصانع إلى مطالبة الحكومة الصينية بالانفتاح على الغرب بدعم من الرأسمال الأجنبي الموجود داخل الصين[3]، كما أنّه وفي ظلّ ارتفاع ديون الصين شدّد الأجانب ضغطهم على الصين سياسيا وماليا، واتّخذوا عدّة إجراءات لاسترداد أموالهم[4]؛ منها:

---

[1]- فوزي درويش: المرجع السابق، ص ص 97، 106.

[2]- فمن مجموع الاستثمارات الغربية في الصين عام 1911 والمقدّرة بـ 5.1 مليار دولار، كان منها 4.1 مليار دولار ديون على الصين، انظر:
- طارق أحمد شمس: المرجع السابق، ص151.

[3]- نفسه: ص 151.

[4]- أدّت القروض المفروضة على الصين إلى تدخل الدول الأجنبية وتغلغل نفوذها في الصين، وإجبارها على توقيع اتفاقيات غير متكافئة معها؛ مثل: الاتفاق الصيني الروسي1896، الاتفاق الصيني الألماني1898، الاتفاق الصيني الفرنسي1898، الاتفاق الصيني البريطاني1898، انظر:
- فوزي درويش: المرجع السابق، ص ص118، 120.

01- اقتطاع قسم من مداخيل الجمارك الصينية من طرف مصرّفين أجانب بدءا من عام1907م، من أجل تسديد القروض ومختلف الديون، وما تبقّى يوضع تحت تصرّف السلك الدبلوماسي؛ وهي الصيغة الأولى للاستعباد المالي والوصاية السياسية.

02- إخضاع مداخيل ضريبة الملح لنفس الإجراءات السابقة، ابتداء من عام 1912م، وهذا بعد عدّة أشهر من قيام ثورة صن يات صن(**Sun Yat Sun**) القائل: "إنّ الصين شبه مستعمرة مهدّدة بالزوال".

05- تأسيس الجمهورية الصينية:

نظرًا للمشاكل التي كانت تُعاني منها الصين، نما الوعي القومي لدى الصينيين، ومن بينهم صان يات صن(**Sun Yat-Sen**)، الذي كان مسيحيًا درس في إحدى المعاهد الإنجليزية بجزيرة هاواي في منطقة هونولولو[1]، رأى بضرورة القضاء على الحكم الإمبراطوري، وقرّر بعد نهاية ثورة التايبينغ (1850-1864م)، القيام بانقلاب ضدّ الإمبراطور، فبدأ حركته بكانتون في الجنوب، قبل أن يقدم عام 1894 بمدينة هانوي على إنشاء جماعة "نهضة الصين"، من أجل جمع الأموال لصالح الحركة الثورية في الصين، وعزم التحرّك للاستيلاء على كانتون، لكنه فشل فصدر الحكم بإعدامه، فقرّر الفرار اليابان، ثمّ اتّجه إلى أوروبا ومنها انتقل إلى الوم أ، واستقر به المقام عام 1899 في يوكوهاما، وما لبثت الثورة التي تزعمها صن يات سين أن اتّسع نطاقها[2].

عاد صان يات سين إلى الصين مع مطلع سنة 1911م، وساعده في ذلك "**رابطة القسَم الصينية**"؛ وهي حركة نضالية برزت في اليابان تطالب بطرد الإمبراطور والبريطانيين، اتّخذ من إقليم كانتون مقرًا لحكومته الصورية التي أسّسها في أكتوبر 1911م، وأعلن عن قيام جمهورية الصين في

---

[1]- انظر مولده ونشأته: - عبّاس محمود العقاد: سن ياتسن أبو الصين، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص ص48، 54.
- محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص100.

[2]- من ذلك أنّه خلال عامي 1904-1905 شهدت مدينة شنغهاي ظهور ما يزيد على مائة كتاب وصحيفة تدعو إلى قيام الثورة، انظر:
- فوزي درويش: المرجع السابق، ص 128. - محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: نفسه، ص101.

29 ديسمبر 1911م، وعُيّن رئيسا مؤقّتا لها، وبدأ يهاجم المرافق العامّة والمؤسسات والهياكل العسكرية، ممّا أثر سلبا على الإمبراطورية (أسرة المانشو)[1] التي كانت تعاني آنذاك من مشاكل سياسية؛ تمثلت في اقتطاع كوريا من طرف اليابانيين سنة 1910م، ومن مشاكل اجتماعية واقتصادية، ممّا جعلها تغيّر من سياستها بعض الشيء سعيًا للمحافظة على عرشها، وجاء الإمبراطور بشعار "**الإمبراطورية تراث عام لا بدّ من المحافظة عليه** "، وكان يعني بذلك بقاءه في مكانه باعتباره شيئا من التراث، مع إمكانية تأسيس حكومة دستورية.

أرسل الإمبراطور الصيني أحد قادة جيوشه، وهو أيوان شاي كاي (**Yuan Shih Kai**)، من أجل إيقاف هجمات صان يات سين، إلا أنّ شاي كاي تمكّن من أخذ السلطة[2]، وإقناع الجماعات الثورية بأن يكون أوّل رئيس للجمهورية مُقابل عدم مُحاربتهم، وقيام الجمهورية سنة 1912م، ولحرص صان يات سين على الاحتفاظ بما حقّقته الصين من آمال، أعلن تنازله ليوان شيه كاي عن رئاسة الجمهورية[3]، وكان الإمبراطور قد أصدر مرسوما تخلى بموجبه عن العرش[4]، معلنا بذلك نهاية أسرة المانشو بعد حكم دام ثلاثمائة سنة[5].

وبعد قيام الجمهورية تألّفت عدّة أحزاب استعدادًا للانتخابات التي تقرّر إجراؤها، وكان من بينها "حزب الشعب القومي"(**الكومنتانج**) الذي أنشأه صان يات سين، وأصبح يضم أنصاره، فتحصّل على

---

(1)– أسرة حكمت الصين مابين (1644– 1911م)، جاءت بعد أسرة منج التي حكمت ما بين (1368– 1649م)، انظر:
– هيلدا هوخام: المرجع السابق، ص ص 277، 284.

(2)– أقنع الإمبراطور (سيوان – تونغ) بالتنحّي عن العرش عبر وثيقة أعلنت باسم الإمبراطور، وتضمّن الاتفاق حق العاهل الصيني الاحتفاظ بلقب إمبراطور مدى الحياة ، مع راتب سنوي، ونقل العاصمة من بكين في الشمال إلى نانكين في الجنوب، مع تولي صان يات سين منصب مدير السكك الحديدية وتخليه عن رئاسة الجمهورية.

(3)– فوزي درويش: المرجع السابق، ص 131.

(4)– جاء في المرسوم: "إنّ الشعب في جميع أنحاء الإمبراطورية يتّجه الآن بعقله نحو الجمهورية، إنّ إرادة الله واضحة ورغبات الشعب غير خفية، فكيف أستطيع أن أعارض رغبات الملايين الكثيرة للاحتفاظ بمجد أسرة واحدة وكرامتها؟ ومن أجل ذلك فإني أنا الامبراطور أرى أن تكون الحكومة في الصين جمهورية دستورية إجابة لرغبات داخل الإمبراطورية كلها وعملا بآراء الحكماء الأقدمين الذين كانوا يرون أنّ العرش تراث عام"، انظر: – محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص102.

(5)– طارق أحمد الشمس: المرجع السابق، ص 151.

الأغلبية في الانتخابات، ممّا يعني تولي أحد زعمائه الوزارة، لكن يوان شاي انقلب على هذا الحزب، وأعلن حلّه في نوفمبر 1913 باعتباره حزبًا مثيرًا للفتن، وبدأ يعمل من أجل فرض حكم دكتاتوري على الصين[1]، ونصّب نفسه إمبراطورًا على البلاد، وبفشل ثورة الجمهوريين الجنوبيين من أنصار صان يات سين ضدّه، اضطر صان وزعماء الكومنتانج اللجوء إلى اليابان عام 1913م.

وسادت الصين فترة من الفوضى والاضطراب بعد وفاة يوان شاي كاي سنة 1916م، وسيطرة النزعة العسكرية على البلاد، وأدى عجز المندوبين الصينيين في مؤتمر الصلح بفرساي عن إلغاء كافة الامتيازات الأجنبية بالصين، وفشلهم في المطالبة بحق تقرير المصير، إلى انفجار ثورة ماي 1919م، (التي تعرف بحركة 04 ماي)، في الوقت الذي تأثّر فيه الصينيون بأفكار الثورة الروسية، وأخذ صان يات سين يعمل على تحقيق الوحدة الوطنية، وطلب المساعدة من الإتحاد السوفياتي، فتنازل هذا الأخير عن امتيازاته في الصين سنة 1923م، وقام بمساعدة سين في إعادة تنظيم حزب الكومنتاج على نسق الحزب الشيوعي الروسي، كما تمثّلت المساعدات في مد الصين بالسلاح وإرسال خبراء عسكريين إلى الصين، لتلقين الجيش الصيني أساليب القتال الحديثة[2].

بدأت مبادئ صان يات سين تخرج إلى حيّز التنفيذ، بإقامة حكومة ثورية بمدينة كانتون في جانفي 1924م، وسبق ذلك تكوين جيش وطني، وتأسيس الكلّية الحربية في هوامبو(**Whampoa**) أو(**Huangpu**)، تحت إدارة تشانغ كاي شيك(**Chang Kai Shek**)، وحاول توحيد البلاد، فبدأ مباحثاته مع زعماء الشمال(حكومة بكين) في جانفي 1925م، لكنه فشل في ذلك بعد أن عاجلته المنية في 25مارس1925م، لكن أب الثورات – كما يلقبه الصينيون– ترك لشعبه وصيّته التي حثهم

[1]– بدأ يوان يعدّ العدة ليجعل من نفسه إمبراطورا جديدا، وبدأ يروّج أن الإمبراطورية هي الوسيلة الوحيدة لمنع تفكك الصين، انظر:
– محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص102.

[2]– محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص103، 104.

فيها على مواصلة الكفاح من أجل وحدة الصين بالتعاون مع السوفييين، وتنفيذ مبادئه الشعبية الثلاث(مبدأ المساواة – أقوات الشعب–، القومية، وسيادة الشعب)[1].

وجدت دول المعسكر الغربي وعلى رأسها الوم أ، أنّ نجاح الثورة الصينية سيؤدّي بالضرورة إلى ضياع نفوذهم، فلجأت إلى استمالة تشانغ كاي شيك – الذي خلف صان يات سين في رئاسة حزب الكومنتاج– إلى جانبها، ومساندته في القضاء على القاعدة الشعبية للثورة، والتعاون معه فيما يضمن مصالح الطرفين، فنجح تشانج كاي شيك في إخماد ثورات كانتون ونانكينغ وشنغهاي بكلّ عنف وقوّة، فيما عُرف باسم "**حملة الشمال لتوحيد الصين**" عامي 1926 و1927م[2]، واستولت قوات شيك على مدينة نانكينغ، وأعلن قيام جمهورية وطنية عام 1927، واتّخذ نانكينغ عاصمة له[3].

06– الصراع بين الوطنيين والشيوعيين:

تخلّى تشانج كاي تشيك على التحالف مع الشيوعيين، ولم يأخذ بوصية الإبقاء على العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، وانقلب ضدّهم في أفريل 1927م[4]، إلا أنّه فشل في ذلك؛ فقد لجأت القيادات الشيوعية وأنصارها إلى الجبال وأعادوا ترتيب صفوفهم والاستعداد لتخليص الصين من حكم تشانج

---

[1]– محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص105.

[2]– خرجت الحملة من كانتون في منتصف 1926 لقتال القادة العسكريين في الشمال، ووصلت إلى اليانجتسي مع مطلع 1927، لتخضع جنوب الصين لسيطرة الكومنتانغ، ثمّ تمّت السيطرة على شنغهاي، وتمّ في هذه الرحلة الشمالية بتطهير التحالف من الشيوعيين وكان الكثير منهم أعضاء في الحزب منذ تأسيسه، انظر:

– هيلدا هوخام: المرجع السابق، ص329. – محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: نفسه، ص105، 106.

[3]– هيلدا هوخام: نفسه، ص328، 329.

[4]– وأصبحت عضوية الحزب الشيوعي الصيني جريمة عقوبتها الإعدام، واضطرت أرملة صن يات سين وزعماء الكومنتانغ المتمسكون بالسياسات الأصيلة للفرار إلى المنفى، وآلت كافة السلكات إلى تشيانغ كاي شيك وحومته الوطنية في نانكينغ، انظر:

– هيلدا هوخام: نفسه، ص329.

كاي تشيك[1]، كما أدّى إلى الاصطدام في الثلاثينات مع ماوتسي تونغ[2]– زعيم الحزب الشيوعي الصيني[3] منذ عام 1934م– في الوقت الذي استطاعت اليابان اقتطاع إقليم منشوريا سنة 1931م[4].

كان لزاما على الصينيين التوحّد لمواجهة العدو الوحيد، وسعى ماوتسي تونغ للاتحاد وتأسيس حكومة ائتلافية، لكن تشانج كاي تشيك جاء بشعار "**الوحدة قبل المقاومة**"؛ أي القضاء على الشيوعيين ثمّ محاربة اليابانيين، وأدّى الموقف الساعي إلى الوحدة من قبل ماوتسي تونغ إلى بروزه كمقاوم فعلي لليابانيين[5]، والتفاف ملايين الصينيين حوله، وخروج الآلاف معه سنة 1934م في "**المسيرة الطويلة**" (**Long March**) من الجنوب إلى الشمال الغربي[6].

بنهاية الحرب مع اليابان[7](1931–1945م)، واستلام وثيقة تسليم إقليم منشوريا في 09 أوت 1945م، برزت في الصين القوّة الشيوعية، والتف الشعب حول ماو، وخضعت معظم الأقاليم لسُلطته، لكن سرعان ما تجدّد النزاع بين الحزبين الشيوعي والوطني، تمكّن خلاله الشيوعيون من السيطرة على الصين الشمالية خاصّة أهمّ منطقة صناعية(منشوريا) سنة 1946م، كما تمكّن

---

[1]– محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: نفسه، ص106.

[2]– ولد في 26 ديسمبر 1893 بقرية شاوشان ، حضر في صباه الشعائر والاحتفالات البوذية، هرب إلى طوكيو، ثم ركب سفينة من هونغ كونغ إلى اليابان، عاد إلى الصين والتحق بالمدرسة عام 1907، وعمره 14 سنة، وباندلاع انتفاضة 1911 بدأ ماو يكتب المقالات السياسية، وحول نشأته وتكوينه، انظر: – روبرت باين: ماوتسي تونج، عرض وتقديم: أيمن عادل، دار طيبة للطباعة، القاهرة، 2008، ص ص19، 47.

[3]– أسس الحزب الشيوعى الصينى في مدينة شانغهاى، في جويلية عام1921، من طليعة الطبقة العاملة، واتّخذ من الماركسية واللينية وأفكار ماونسي تونغ دليلا مرشدا له.

[4]– هيلدا هوخام: المرجع السابق، ص 330، 331. – محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: نفسه، ص ص 107، 109.

[5]– محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: نفسه، ص110.

[6]– انسحب الشيوعيون من خلال رحلة طولها 6000 ميل نحو الحدود الغربية سيراً على الإقدام لمدة عام، انطلقوا في 16 أكتوبر 1934، مارين خلالها بـ 12 مقاطعة، 24 نهر، العديد من سلاسل الجبال، الغابات الكثيفة، والصحارى المهجورة، ووصلوا إلى حدود شنسي جنوب السور العظيم في أكتوبر 1935، ومن بين 300 ألف الذين خرجوا في المسيرة لم ينج منهم إلا 20 ألف، انظر:
– هيلدا هوخام: نفسه، ص ص338، 342.

[7]– مرّت الحرب بثلاث مراحل؛ عرفت المرحلتين الأولى(1931–1937)، والثانية(1941–1942) تفوق اليابانيين، قبل أن يكون النصر إلى جانب الشيوعيين في المرحلة الثالثة(1943–1945)، انظر: – محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: المرجع السابق، ص109، 110.

الوطنيون بفضل مساعدات الوم أ من اجتياح المنطقة الشرقية وبعض مناطق الشمال، إلا أنّ تفوق الجيوش الشيوعية مكّنتهم من السيطرة على جميع المناطق الواقعة شمال نهر اليانغ تسي تقريبا في نهاية عام 1948م[1].

وبعد ذلك بعام واحد انهارت مقاومة الجيوش الوطنية، وهرب الكثير من الجنود، واستسلم عدد من الحكّام الوطنيين، وفي 22 جانفي1949م سقطت العاصمة بكين في قبضة الشيوعيين، وتمّ فيها إعلان قيام جمهورية الصين الشعبية في21 سبتمبر 1949م، بينما نقل تشانغ كاي تشيك حكومته التي كانت على شفا الانهيار في 10ديسمبر 1949م إلى تايوان(فرموزة)، وأصبحت مدينة تايبيه مقرّا لجمهورية الصين الوطنية[2].

[1]– محمّد علي القوزي، حسّان حلاق: نفسه، ص 112.

[2]–نفسه: ص112. – فوزي درويش: المرجع السابق، ص 110.

ثانيا- الحركة الوطنية في الهند:

أسّست القوى الأوربية مثل البرتغال، وهولندا، وفرنسا، والمملكة المتحدة محطات تجارية بالهند منذ القرن الـ16م، واستغلت لاحقا النزاعات الداخلية لتأسيس مستعمرات في البلاد، وبحلول سنة 1856م أصبحت معظم الهند تحت سيادة حكم شركة الهند الشرقية الإنجليزية[1]، وبعد مرور عام، حدث في جميع أنحاء البلاد عصيان مسلح من قبل متمرّدين من قوات حربية وعرف ذلك بـ " تمرد الجندي الهندي " أو ثورة السبايس/révolte des Cipayes(1857- 1858)[2]، والتي كانت كرد فعل على سياسة الإلحاق (إلحاق إمارة بأخرى)، وتسلط الشركة التي تحصّلت على جميع الأرباح على حساب الأهالي، وانتشار المجاعة والبطالة، وتذمّر جماعة السبايس من إرسالهم إلى مناطق بعيدة عن الهند وعن ذويهم، وسوء أحوالهم، واضطهاد الضبّاط الإنجليز لهم، بالإضافة إلى أسباب أخرى ساهمت في تزايد كره الهنود للإنجليز[3]، واختمار الثورة في نفوسهم[4]، فظهرت أولى بوادر الثورة مع مطلع1857م **بالبنغال** لتنتشر في أرجاء كثيرة من الهند، واستولى الجنود السبايس على العاصمة **دلهي**، ونصّبوا بهادورشاه آخر أباطرة المغول إمبراطورا على الهند، لكن الإنجليز جمعوا قواتهم من جميع أنحاء الهند وقضوا على الثورة، وأعادوا احتلالها بتجنيد ما يزيد عن 170ألف

---

[1]- جلال يحي: المرجع السابق، ص428، 429.

[2]- كلمة برتغالية تعني : الجنود الأهالي(soldats d'indigène) .

[3]- من الأسباب الأخرى: تدخل الإنجليز في العادات والتقاليد، كمنع الزواج المبكر، منع الأرامل من الزواج، ومنع إحراق المرأة مع جثة زوجها إذا مات قبلها، وانتشار التنصير، وتدخل الإنجليز في التعليم ، واستيراد بريطانيا لبنادق جديدة (أنفيلدenfield) مزودة بخراطيش تدهن بشحم الخنازير والأبقار، والتي أرغم الجنود الوطنيين على أن يقطعوا بأسنانهم قطعا من دهن الخنزير والبقر لتشحيم البنادق، فأساء دهن الخنزير المسلمين والبقر الهندوس، إضافة إلى ضعف الحاميات الإنجليزية منذ حرب القرم1856م، انظر:

- سماح سلام: "الاحتلال البريطاني في شبه القارة الهندية"، مجلة المقتطف التاريخية، العدد04، مارس 2010، ص75، 76.

[4] - عبّر عن ذلك مينارد في روايته التاريخية بالقول: "...وتحرّكت حزازات تمكّنت في القلوب منذ زمان طويل، وغلت مراجل الصدور بالضغائن الكامنة، وجعلت تفرخ وتبيض فيها حتى هاجوا وماجوا..."، انظر:

- فيلكس مينارد: ثورة الهند أو المرأة الصابرة، تر: الميرزا يوسف خان، مطبعة الهلال، مصر، 1318هـ/1900م، ص 07.

جندي، كما تمّ إصدار مرسوم 02 أوت 1858م، الذي ألحق الهند بالتاج البريطاني بعد حل الشركة، وأصبح حاكم الهند يسمّى **نائب الملك**، يتبع التاج مباشرة منذ عهد الملكة فيكتوريا[1].

01- التحوّلات الكبرى بعد انتفاضة السبايس(سيبوي) :

أفرزت انتفاضة السبايس تحوّلات كبرى وعميقة في الأرياف كما في المدن؛ ففي الأرياف عمل البريطانيون على إيجاد وسائل لكسر ما تبقى من أطر التضامن التقليدية التي اعتمدت عليها الانتفاضة، وذلك بتوظيف أموال هامة من أجل تكثيف الاستغلال الاقتصادي للمواد التجارية كالشاي والقطن، فأدّى هذا إلى تحوّل أغلبية الفلاحين إلى مستأجرين يدفعون ما بين النصف وثلثي محاصيلهم للملاك، وهذا مقابل كراء الأراضي، وبيع قسم هام ممّا تبّقى لديهم للحصول على النقود الضرورية لدفع الضرائب المتزايدة، وفي السنوات الصعبة كان هؤلاء يلجئون إلى الاستدانة، فأصبح بهذا الفلاحون الفقراء سجناء للملاك الكبار، والضرائب، والممارسات الربوية[2].

وأدّى توسّع الزراعات النقدية – من جهة أخرى- إلى تدهور الزراعات الغذائية، فانتشرت المجاعات الرهيبة؛ بحيث شهدت الهند في النصف الثاني من القرن 19م حوالي 24 مجاعة، أودت بحياة 24 مليون شخص، أمّا الصناعات الحرفية فإنّها لم تستطع أن تصمد في وجه الواردات الصناعية البريطانية، بعد أن قام الانجليز بتحطيم وتدمير الأنوال والمغازل الهندية، وطرد المنسوجات القطنية الهندية من أسواق أوروبا، وفي المقابل شرعوا في تصدير الخيوط والمنسوجات القطنية

---

[1]- كما كان من بين نتائج الثورة: حل جيش السبايس، وإعادة تنظيمه بإدخال العناصر الأوروبية فيه، كما نفي الإمبراطور إلى رانجون عاصمة برمانيا، وتوفي هناك سنة 1862م، انظر الثورة ونتائجها:

– صباح مهدي رميض، ذكرى شمسي جواد: "ثورة الهند 1857 تجاه الإدارة البريطانية والموقف الفرنسي منها"، حوليات آداب عين شمس، كلّية الآداب، عين شمس، مصر، المجلّد 49، عدد أفريل-جوان 2021، ص ص296، 310.

[2]- سماح سلام: المرجع السابق، ص76.

البريطانية إلى الهند[1]؛ ممّا أدّى إلى انهيار الاقتصاد والعلاقات التضامنية في الريف، وبالتالي زوال التكاتف الذي كان عاملا من عوامل توازن القرى الهندية طوال قرون، كما أنّ العلم الحديث واستخدام الآلة البخارية دمّر الرابطة بين الزراعة والصناعة الحرفية، ومن هنا نفهم لماذا أصبح الريف يتحرّك بشكل متزايد نحو العنف منذ الثلث الأخير من القرن 19م.

ومن التحوّلات الأخرى التي شهدتها الهند، تزايد الوعي بظهور الجمعيات والأحزاب؛ ومنها "حزب المؤتمر الهندي".

02- نشاط حزب المؤتمر الهندي:

أنشئ هذا الحزب في 25 ديسمبر1885م، على أن يتم تبادل رئاسته مسلم وهندوسي عاما بعام[2]، ومنذ البداية كان واضحًا أنّ إنشاء هذا الحزب كان بمبادرة وتشجيع من السلطات البريطانية؛ فقد كان الضابط الإنجليزي المتقاعد والموظف في حكومة الهند هيومOctovian Hume (Alan) صاحب الفكرة، يعتبر أنّ البريطانيين مهدّدون بثورة فضيعة، وعلى هذا الأساس استخلص ما يلي: " لم يكن بالإمكان إيجاد صمّام أمان أكثر فعّالية من حركة المؤتمر"، أمّا نائب الملك في الهند فإنّه توصل إلى نفس النتيجة، معتبرا أنّ المؤتمر أقل ثمنًا من الثورة، وكان هذان المسؤولان يشيران إلى مختلف أشكال التوتر التي أخذت تتكرّر منذ 1870م[3] في الريف والمدينة معًا.

---

[1]- لقد قام الإنجليز بتفكيك الصناعة التقليدية الهندية لفائدة النسيج القطني الإنجليزي، حتى قبل ثورة السبايس، وفي ذلك كتب الحاكم العام للهند عام 1854م يقول: "إنّ عظام الغزّالين والنسّاجين قد غطت سهول الهند"، انظر: - سلامة موسى: غاندي والحركة الهندية، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص32.

[2]- سماح سلام: المرجع السابق، ص76.

[3]- عرفت الهند عدة حركات ثورية ، مثل : ثورة سيد أحمد خانSyed Ahmed Khan الذي أراد أن يوحد المسلمين ضد الإنجليز والسيخ، استشهد سنة 1831م، وحركة سوادسشي التي هاجمت المصنوعات الإنجليزية وعظمت الإنتاج البلدي.

وسمح الإنجليز بهذا المؤتمر للقيام بدوره السياسي؛ لأنّهم أرادوا أن يجدوا للسياسيين متنفّسا يحول دون اتجاههم للثورة، وكان المؤتمر في أول أمره يقوم على أساس التعاون بين الهنود والإنجليز لخير الهند؛ ولهذا كان فيه أعضاء يمثلون الحكومة الإنجليزية، ويشاركون في المناقشات، وما يمكن ملاحظته أيضا أنّ حزب المؤتمر ضمّ جماعة من الشخصيات البرجوازية الهامّة، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح في برنامج الحزب عند بدايته؛ فقد كان البرنامج يدور حول المطالب التالية:

- القيام بإصلاحات اقتصادية، منها فرض رسوم دخول على القطنيات الأجنبية.

- قبول الهنود في مراكز المسؤولية لدى بعض الإدارات.

- توسيع صلاحيات المؤسّسات التمثيلية المحلّية.

- إنشاء تعليم مهني مفتوح للهنود.

كانت السلطات البريطانية تنتظر أن تبقى الأمور محدودة، وأن لا تخرج عن نطاق سيطرتها، ولكن الشيء الذي حصل هو أنّ الشعب أخذ يلتف حول الحزب؛ فالإصلاحات التي طالب بها كانت فعلا تخدم تلك النخبة الجديدة بالدرجة الأولى، ولكن فئات كبيرة من المجتمع الهندي رأت فيها مصلحة عامّة للهند، فاضطرت الإدارة البريطانية بسرعة إلى التدخل والبدء في مضايقة أعضاء المؤتمر منذ سنة 1887م، وفي عام 1890م اتخذت قرارا رسميًا يمنع الموظفين التابعين للإدارة من المشاركة في أعمال الحزب، وبعد سنوات تطوّر موقف الرسميين الإنجليز وعلى رأسهم اللورد كورزون(Curzone)، الذي وصل إلى قناعة عام 1900م عبّر عنها بالجملة التالية: " إنّ المؤتمر في طريقه إلى الانهيار، ومساعدته للوصول إلى نهاية هادئة هي إحدى طموحاتي الكبرى أثناء إقامتي في الهند"، وكان كورزون يشير بذلك إلى تحوّل الحزب في تشكيلته وتسييره الداخلي الذي بدأ يطرأ عليه؛ ففي أواخر القرن19م أخذ ثقل المثقفين بشكل خاص، ينمو ويزداد داخله.

وترجع الحركة الوطنية الحديثة في الهند إلى الخطأ الذي وقع فيه الإنجليز، وإقدام كورزون سنة 1905م على تقسيم إقليم البنغال إلى قسمين بين الهندوس والمسلمين[1]، فاستغل الوطني بانرجي – أستاذ الآداب الانجليزية بجامعة كاكوتا، ورئيس المؤتمر الوطني الهندي مرتين– ذلك في تحريك مشاعر الهنود وتنبيههم على أنّ هذه القسمة هي تدنيس للوطن، وأمام هبة الهنود المتحدين، أذعنت الحكومة البريطانية وألغت القسمة سنة 1911م، لكن الحركة الوطنية لم تخمد منذ ذلك الوقت[2].

ومن الزعماء الذين خدموا الحركة الهندية تيلاك(Tilaque)[3]، وهو أحد البارزين في الحركة الوطنية الهندية طوال العقدين الأولين من القرن 20م؛ والذي كان يرى أنّ الحزب مآله الفشل إذا بقي على مواقفه؛ أي إذا بقي مجرّد نادي لمجموعة من الشخصيات البرجوازية، وإذا استمر تعامله مع المحتل البريطاني من منطلقات نشأته، لذا فإنه وزملاءه رأوا أنّ الحزب عليه دخول الكفاح الحقيقي، وأن يواجه الاحتلال البريطاني مواجهة فعّالة، وهذا باللجوء إلى كلّ ما أمكن من الوسائل، بما فيها المقاطعة، الإضراب، والتظاهر، وكان هذا الجناح الذي تشكل حول تيلاك أخذ يؤثر داخل الحزب، ويحاول تغييره من الداخل[4].

---

[1]– سماح سلام: المرجع السابق، ص77.

[2]– سلامة موسى: المرجع السابق، ص 23، 24.

[3]– أنشأ جريدتين بالإنجليزية والهندية لتوعية الهنود ، حكم عليه بالسجن عاما ، ثم حكم عليه سنة 1908م بالنفي لمدة ست سنوات ، توفي سنة 1920م، انظر:

– Praveen Davar : Tilak: The Revolutionary Nationalist, [https://inc.in/congress-sandesh/tribute/tilak-the-revolutionary-nationalist], 04 julay 2024, (30 March2025).

[4]– سلامة موسى: المرجع السابق، ص24.

بقيت الحركة الهندية بعد ذلك لا تلفت أنظار العالم إليها إلا قليلا، إلى أن سطع فيها المهاتما غاندي Mahatma *Gandhi*(1869-1948)، الذي أكسبها من المبادئ، وعيّن لها من الخطط[1]؛ فغاندي الذي تخرّج من جامعة لندن في القانون، وامتهن المحاماة في جنوب إفريقيا مدّة عشرين سنة[2]، عاد إلى الهند سنة 1914م، وفي غضون سنوات قليلة من العمل الوطني أصبح الزعيم الأكثر شعبية وركز عمله على النضال ضدّ الظلم الاجتماعي من جهة، وضدّ الاستعمار من جهة أخرى، كما تميّز بدعوته إلى عدم استعمال العنف[3]، واعتماد سياسة العصيان المدني إزاء الاحتلال البريطاني، ودعا إلى عدم تعامل المواطنين مع سلطات الاحتلال، ومقاطعة البضائع الأجنبية، والإضراب عن العمل، والعودة إلى المغزل والمنسج[4]، كما دعا إلى وحدة كل الطوائف الهندية، فأدّت حركته إلى الوحدة الوطنية بين أبناء الهند خاصّة المسلمين والهندوس[5]، وكان له حضور على إثر مذبحة آمرتسار في أفريل 1919[6]، وبعد توليه قيادة المؤتمر الوطني(1921- 1935) قاد حملات وطنية للتخفيف من حدّة الفقر، وزيادة حقوق المرأة، وبناء وئام ديني وطني[7].

---

[1]– سلامة موسى: المرجع السابق، ص24.

[2]– حول نشأة وتكوين غاندي، انظر:

– المهاتما غاندي: مهاتماغاندي سيرته كما كتبها بقلمه، تر: إسماعيل مظهر، مطبعة عيسى البابي، مصر، (د.ت)، ص ص11، 70.

– هشام خضر: غاندي، الدار العالمية للكتب والنشر، مصر، ص ص07، 53.

[3]– تتخذ سياسة اللاعنف(الساتياغراها)عدة أساليب لتحقيق أغراضها منها الصيام والمقاطعة والاعتصام والعصيان المدني والقبول بالسجن وعدم الخوف من أن تقود هذه الأساليب حتى النهاية إلى الموت، و قد قال غاندي تعليقا علي سياسة اللاعنف: " إن اللاعنف هو أعظم قوة متوفرة للبشرية...إنها أقوي من أقوي سلاح دمار صنعته براعة الإنسان"، انظر: – المهاتما غاندي: المصدر السابق، ص ص228، 241.

– نورمان ج. فينكلستاين: ماذا يقول غاندي عن اللاعنف والمقاومة الشجاعة، تر: أحمد زراقي، كتاب الدوحة رقم81، وزارة القافة والرياضة، قطر، 2018، ص ص60، 63.

[4]– ودعا غاندي أنصاره إلى العدة لارتداء الملابس الوطنية الهندية التي كانت قد توارت خجلا أمام الأزياء البريطانية، انظر:

– سلامة موسى: المرجع السابق، ص33. – هشام خضر: المرجع السابق، ص118.

[5]– سماح سلام: المرجع السابق، ص78.

[6]– وهي الحداثة التي كانت بمدينة آمرتسار إحدى مدن البنجاب، والتي كانت بإعطاء الجنرال ديد الأوامر لجنوده بإطلاق النار على تجمّع جماهري حاشد، أدى إلى مقتل حوالي 400 شخص، وأكثر من ألفي جريح، فأثارت جدلا صاخبا، فتنقل على إثرها غاندي إلى البنجاب في 17 أكتوبر 1919، والذي استقبل كزعيم وطني، وقرّر تكوين لجنة تحقيق يترأسها من أجل الوقوف على حقيقة ما جرى، انظر:

– هشام خضر: المرجع السابق، ص ص113، 115. – سلامة موسى: المرجع السابق، ص24.

[7]– هشام خضر: نفسه، ص ص123، 135.

أقحم الإنجليز الهند في الحرب العالمية الثانية دون استشارة أهلها، مما دفع بحزب المؤتمر للمطالبة بمنحها حق وضع دستور للبلاد، لكن الإنجليز رفضوا ذلك، وشرعوا في المناورة كي لا يتعاون الهنود مع القوة اليابانية الزاحفة على آسيا، وحين بدأت تباشير انتصار الحلفاء تلوح في الأفق، اقترح الماريشال فافل wavell (1883–1950) سنة 1942م مخططا يتم بموجبه وضع السلطة في أيدي الهنود مع احتفاظ البريطانيين بسلطتي الدفاع وحق التدخل في الحالات الطارئة، غير أنّ المسلمين الهنود طالبوا بالانفصال؛ لأنه لا يحق في نظرهم للمؤتمر أن يتكلم باسم كافة الهنود، كما صادق المؤتمر الهندي، عام 1942م ، على بيان يدعو البريطانيين لـ "مغادرة الهند".

ونجم عن هذا القرار اندلاع حركة عصيان كبيرة، حيث هاجم الناس مكاتب الشرطة والسكك الحديدية ورفضوا التعاون مع سلطات الاحتلال، فقام البريطانيون بقصف القرى وإلقاء القبض على زعماء المؤتمر ومنهم المهاتما غاندي، جواهرلال نهرو Nehru Jawaharlal (1889–1964)، وفضلا عن ذلك، حمل الهنود البريطانيين مسؤولية مجاعة 1943– 1944، التي عصفت بالشمال الشرقي والجنوب، والتي لم يأبه بها البريطانيون[1].

تزعم غاندي – الذي أطلق سراحه في 06 ماي 1944– حركة سياسية تدعو الهنود إلى إتباع أسلوب "عدم التعاون الخالي من العنف" مع البريطانيين مما زاد في تلاحم الشعب الهندي، والتي أخذت حركته الوطنية تدعو إلى الاستقلال التام[2]، وفي المقابل عمل محمد علي جناح[3](1876–1948)، الذي كان عضوا في المؤتمر ثم انفصل عنه، على إنشاء دولة إسلامية لحماية حقوق

[1]– هشام خضر: المرجع السابق، ص 136.

[2]– شارك غاندي في مؤتمر سان فرانسيسكو بعد الحرب العالمية الثانية، والذي صرّح فيه على هامشه بالقول: "إنّ الحرّية التي سوف تحظى بها الهند ستكون بشيرا لجميع أنحاء العالم بقدوم الحرّية، فأعطوا الهند حرّيتها..."، انظر: – نفسه: ص137.

[3]– من مواليد كراتشي سنة 1876، وفي 1905 التحق بحزب المؤتمر الوطني الهندي، قرّر سنة 1920 قطع علاقته بحزب المؤتمر، وأسّس العصبة الإسلامية ، وبعودته من بريطانيا سنة 1937م دعا إلى استقلال تام للمسلمين ضمن اتحاد فيديرالي هندي إسلامي، ثم صعّد في اجتماع العصبة بلاهور سنة 1940م، ودعا إلى تقسيم شبه القارة الهندية إلى كيانين: الهند وباكستان.

المسلمين، بعد تخوفه من إمكانية استقلال الهند وهيمنتها على كافة الأمور، ما جعل بريطانيا تستغل الفرصة لعدم منح الهنود استقلالهم ، وفي25جوان1945، عقد الماريشال فافل نائب الملك في الهند، مؤتمر شِمْله *Simla* بهدف الإعداد لاستقلال الهند، غير أنّ محمد علي جناح طالب بحقه في تعيين الأعضاء المسلمين في المجلس التنفيذي الذي يرأسه فافل[1].

شكّل نهرو حكومة إئتلاف وطني في سبتمبر 1946، لم تشارك فيها الرابطة الإسلامية، في الوقت الذي اندلعت فيه(أوت 1946) أعمال العنف بين الهنود والمسلمين، وبضغط من الماريشال فافل، سمح علي جناح لعدد من أعضاء الرابطة بالانضمام إلى الحكومة[2]، غير أنّ عدم تعاونهم مع الحكومة، جعل نهرو يطالب الرابطة بسحب وزرائها في فيفري 1947م، ومع التأكد باستحالة أن تبقى الهند بعد تحريرها موحّدة، وضع اللورد مونتباتن – آخر نائب للملك في الهند– مشروع التقسيم، وفي 03جوان 1947م أعلن رئيس الوزراء البريطاني أمام مجلس العموم، أنّ الحكومة تعتزم أن تقدّم مشروع قانون عاجل لنقل السلطات إلى الدولة أو الدولتين اللتين تقومان في الهند، وفي 04جويلية1947م تمّت المصادقة عليه، وأعلنت بريطانيا على أساسه منح الاستقلال التام في 05 أوت 1947[3]؛ ونص على استقلال الهند وقيام دولتين مستقلتين تتمتع كلتاهما بصفة الدومنيون، وهما الهند وباكستان[4]، فأصبحت باكستان في 14 أوت1947م دولة مستقلة من ضمن(الكومنولث)، كما حصلت الهند على استقلالها في اليوم التالي 15أوت1947م[5]، وفي نفس اليوم(15 أوت)

---

[1]– سماح سلام: المرجع السابق، ص81.

[2]– هشام خضر: المرجع السابق، ص ص140، 142.

[3]– سماح سلام: المرجع السابق، ص81.

[4]– كان محمّد إقبال قد اقترح على أن يطلق على الدولة الإسلامية الي يطالبون بقيامها اسم "باكستان"؛ وقد تألف الاسم من الأحرف الأولى للولايات التي تضمّها، فأخذت حرب الباء من ولاية "البنجاب"، وحرف الكاف من ولاية "كشمير"، وحرف السين من ولاية "السند"، ثم المقطع ستان وهو المقطع الأخير لولاية "بوخستان"، وبذلك تكوّن اسم باكستان، وتعني بالأردية والفارسية أرض الطهارين أو الأرض الطهور، انظر:
– سماح سلام: المرجع السابق، ص78.

[5]– هشام خضر: المرجع السابق، ص ص143، 144.

انتهى الحكم البريطاني للهند بتخلي ملك انجلترا عن لقب امبراطور الهند[1]، وقد أصبح محمّد علي جناح – الذي يعتبر مؤسّس دولة باكستان– أول رئيس حكومة في باكستان، في حين عيّن رسميا جواهر لال نيهرو أوّل رئيس لحكومة الهند المستقلة، وبقيت منطقة كشمير إقليما متنازعا عليه بينهما، وتألم غاندي كثيرا لتقسيم الهند وسعى لإعادة توحيدها، لكنه لم يفلح في ذلك ، وسبّب له ذلك الاغتيال على يد أحد الهندوس المتعصّبين في 30 جانفي 1948م[2].

[1]– سماح سلام: المرجع السابق، ص82.

[2]– هشام خضر: المرجع السابق، ص ص144، 147.

ثالثا- الحركة الوطنية في الهند الصينية:

تشتمل الهند الصينية كلا من: الفيتنام، لاووس، كمبوديا، وتايلاندا، وفي عهد الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث المعروف بنزعته الاستعمارية التوسّعية، أخذت فرنسا ترسل الارساليات التنصيرية إلى الهند الصينية منذ منتصف القرن 17م[1]، وتفتح المدارس لأهداف استعمارية، ولنفس الدوافع التجارية المترافقة والمبرّرة بالاعتبارات الدينية(حماية الكاثوليك)، كانت فرنسا تتصرف على نحو مشابه في فيتنام؛ ففي 02 سبتمبر 1858م نزلت في توران(دانانغ حاليا) جيوش فرنسية وإسبانية بحجة حماية البعثات التنصيرية الكاثوليكية، تلاها عدة عمليات للاجتياح إلى أن تم احتلال جنوب فيتنام كلّه[2]، وفي جوان 1862م فُرض على الحكومة الامبراطورية الفيتنامية في هوي معاهدة مذلة، تتعهد بموجبها الأخيرة بحرّية العبادة للكاثوليك، وبالتخلي لفرنسا عن ثلاثة أقاليم ميتو، سايغون، بيان هوا، وجزيرة بولو كوندور، وبدفع غرامة حربية باهظة، وبفتح ثلاث موانئ فيتنامية للتجارة الفرنسية، وبذلك ينفتح عهد التجزئة الكولونيالية لفيتنام[3].

لم تكن حكومة "هوي" الحكومة المركزية الفيتنامية، تعترف بالاحتلال الفرنسي للجنوب، وكانت تسيطر عليها رغبة أكيدة في القضاء على التجزئة واستعادة الأقاليم المحتلة، وإعادة بناء وحدة فيتنام وكانت تساعد سرا المقاومة في الجنوب، لكنها كانت عاجزة عن تجديد حياة الأمة الفيتنامية، وغداة احتلال فرنسا إقليما آخر في الوسط(كوشنشين الشرقية) عام 1867م، أذاع الملك "**تودوك**" رسالة ملكية إلى الأمة الفيتنامية، جاء فيها: " لم تقع البتة من قبل أحداث أشأم ممّا وقع في عصرنا... إنّ

---

[1]- وصل أوائل المنصّرين الفرنسيين إلى كمبوديا ومملكتي كوشين وتونج كنج عام 1660، ثمّ تجدّد اهتمامهم بالهند الصينية بعد حرب السبع سنوات(1756-1763)، فوصل المنصر الفرنسي الأب بيير بينو(Pineau) إلى مدينة هوي عام 1765، انظر:
- فايز صالح أبو جابر: الاستعمار في جنوب شرق آسيا، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1411هـ/1991، ص86.

[2]- لبيب عبد الستار: أحداث القرن العشرين منذ 1919، ط03، دار المشرق، بيروت، 1919، ص 230.

[3]- ياسين الحافظ: التجربة التاريخية الفيتنامية، تقييم نقدي مقارن مع التجربة التاريخية العربية، ط03، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1997، ص47، 48.

القضية الكبرى التي تحملها أجاد أمتنا هي إعلاء شأن المملكة، فللتحد العشرة آلاف عائلة في إرادة واحدة ..."[1].

وأدّت الأزمة الزراعية في الشمال منذ1862م إلى استياء الفلاحين؛ بسبب فقدان الأرز، وفداحة الغرامة الفرنسية، والضرائب والسخرة التي نجمت عنها، كما وصلت تأثيرات ثورة التايبينغ الصينية، إضافة إلى حادثة الملازم الفرنسي "غارنييه" سنة 1872م، والهادفة إلى محاولة السيطرة على شمال فيتنام، والتي انتهت إلى توقيع معاهدة بين فرنسا والحكومة الفيتنامية سنة 1874م ، نصّت على انسحاب فرنسا من الشمال ، لكنها منحتها امتيازات سياسية واقتصادية[2].

اتّجهت السياسة الاستعمارية الفرنسية بعدها إلى إلحاق كامل الأراضي الفيتنامية بالإمبراطورية الفرنسية، وفي أفريل 1882م أرسل النقيب البحري "ريفيير" مع سرية إلى الشمال، واحتل هانوي، وتابع احتلال الدلتا، ورغم مقتله في إحدى المقاومات، إلا أنّ العاصمة "هوي "(في الوسط) اضطرت إلى توقيع معاهدة حماية في 25 أوت 1884م، سلبت فيتنام سيادتها، وبعد تخلي الصين عن سيادتها على فيتنام نهائيا، واعترافها بالحماية الفرنسية عليها، اتجهت هذه الأخيرة إلى إلحاق الوسط والشمال إلحاقا تاما، ورغم المقاومات والانتفاضات وحروب العصابات في شمال ووسط وجنوب البلاد في الفترة(1885-1896)، فإنّها انتهت بأن أصبحت الفيتنام كلّها مستعمرة فرنسية، وصارت مدينة هانوي مقر الحاكم العام الفرنسي[3].

وعانت الهند الصينية من استغلال استعماري جشع، فقد فُرضت الضرائب على السكان دون شفقة، وتعذر على الفلاحين أداؤها أحيانا، وأرهقتهم الديون حتى فقد الكثيرون ممتلكاتهم، ومنذ عام 1911 بدأت بوادر وعي وطني يطالب بتوحيد واستقلال إمبراطورية فيتنام السابقة(تونكين وأنّام

[1]– فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص90.

[2]– ياسين الحافظ: المرجع السابق، ص53، 54.

[3]– فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص91.

وكوشنشين)، ولمّا اندلعت الحرب العالمية الأولى، انخرط آلاف الفيتناميين في الجيش الفرنسي معلّلين النفس بوعد الاستقلال، إلاّ أنّه لم يتحقّق، رغم طرح ممثلي الفيتنام المنفيون إلى فرنسا قضية بلادهم في مؤتمر الصلح عام 1919، فخلّف ذلك نقمة وطنية عارمة[1].

مع انطفاء الحركة القومية التقليدية الفيتنامية والتي لم تستطع تحقيق الانتصار على الاستعمار الفرنسي[2]، انفتحت مرحلة جديدة في تطور الأمة الفيتنامية فأنشأ "**الحزب القومي للشعب الفيتنامي**" سنة 1925م، على نسق الكومنتانغ الصيني، وبتأثيره المباشر، وكان يتمتع بنفوذ قوي في أوساط المثقفين، الموظفين، الطلاب، الجنود، والتجار، والذي نظم انتفاضة مسلحة ضدّ الاستعمار الفرنسي في فيفري 1930م، في مدينة ين باي- عندما ثار الجنود الفيتناميون على ضبّاطهم الفرنسيين واحتلوا قلعة المدينة ورفعوا فوقها العلم الأحمر- لكنها قُمعت من طرف الفرنسيين، وطورد أعضاء الحزب[3].

دعا هوشي منه[4]- الذي سيصبح الزعيم التاريخي للحركة القومية الشيوعية الفيتنامية- في 03 فيفري 1930م، بوصفه مندوبا عن الأممية الشيوعية، ممثلي الجماعات الشيوعية العاملة في الفيتنام إلى مجلس يعقد في "خوولون" الصينية، انتهى بتوحيدها وقيام "**الحزب الشيوعي الفيتنامي**"؛ والذي تركّز برنامجه على:

- قلب الامبريالية الإقطاعية والبرجوازية الرجعية في فيتنام.

---

[1]- لبيب عبد الستار: المرجع السابق، ص230.

[2]- افتقرت الحركة القومية الفيتنامية التقليدية للوعي القومي، وللإيديولوجية الحديثة، من أجل مواجهة مشكلة الانقسام الطائفي للأمة الفيتنامية(الكاثوليك)، ومشكلة الأقليات القومية غير الفيتنامية، انظر: - ياسين الحافظ: المرجع السابق، ص 60، 61.

[3]- ياسين الحافظ: المرجع السابق، ص ص 79، 81.

[4]- ولد "نجوين آي كواك" المشهور بهوشي منه حوالي عام 1893، بدأ كعامل على إحدى السفن الفرنسية عام 1911، ثمّ اشتغل كعامل بلندن ما بين 1913- 1917، أصبح عضوا في الحزب الاشتراكي الفرنسي عام 1920، ثمّ غادر إلى موسكو ليتلقن عن كثب الفنون الثورية من لينين والزعماء البلاشفة، أرسلته روسيا عام 1925 إلى الصين كمستشار سوفياتي للدكتور سن يات سين، ليتوجّه بعدها إلى هونغ كونغ، وبدأ يعدّ العدّة للثورة ضدّ فرنسا واستعمارها للفيتنام، انظر: - فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص ص 98، 101.

– انتزاع استقلال فيتنام الكامل[1].

وانغرس الحزب بسرعة في البنية السياسية الفيتنامية، وتنامى نفوذه خلال فترة قصيرة، وطوال فترة(1930–1941) تولى قيادة الحزب رجال تكوّنوا في موسكو، مثل: "توان فو" – أول أمين عام للحزب– و"لي هونغ فونغ"، وفي فيفري1941م عاد هوشي منه إلى فيتنام، وقرّر استعادة هوية الحزب القومية، ودعا إلى حل المسألة القومية لكلّ شعوب الهند الصينية الثلاث، وتأليف جبهة مستقلة تناضل في إطار فيتنام فقط، وهي "**رابطة استقلال فيتنام**" (فييت منه)[2].

وعند قيام الحرب العالمية الثانية، وانهزام فرنسا أمام ألمانيا سنة 1940م، اغتنمت اليابان الفرصة ودخلت الهند الصينية، تحت شعار "آسيا للأسيويين"، وقامت بإخراج الفرنسيين من المنطقة والسيطرة عليها[3]، وفي مؤتمر بوتسدام 1945م، والذي لم تحضره فرنسا، تقرّر أن يعهد بنزع سلاح الوحدات اليابانية والإدارة المؤقتة للبلاد، إلى القوات الصينية والبريطانية، وفعلا احتلت القوات الصينية بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية "تونكين" و"اللاوس"، كما احتلت القوات البريطانية جنوبي الهند الصينية، وفي نفس الوقت سارع حزب الفيت منه بعد أيام قليلة من سقوط اليابان إلى إعلان حكومة وطنية في هانوي بتاريخ 19أوت 1945م، على رأسها هوشي منه، ومن أعضائها البارزين "باوداي"[4].

---

[1]– ياسين الحافظ: المرجع السابق، ص85، 86.

[2]– نفسه: ص ص 86، 100.

[3]– رغم استبشار الفيتناميين بقدوم اليابانيين إلاّ أنّه قامت مقاومة فيتنامية وطنية ضدّ اليابان، بقيادة هوشي منه والجنرال فو جياب، والتي استطاعت في حدود عام 1944 أن تخضع معظم أراضي البلاد تحت أيدي قواتها، انظر:

– فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص ص 101، 102.

[4]– فوزي درويش: المرجع السابق، ص 167، 168. – فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص102، 103. – لبيب عبد الستار: المرجع السابق، ص231.

بعد الحرب العلمية الثانية، أصرّت فرنسا على استعادة مستعمراتها في الهند الصينية، فتخلى لها البريطانيون عن الجنوب، وفرض الصينيون مقابل تخليهم عن تونكين ولاوس، أن تتنازل فرنسا عن امتيازاتها في الصين، كما كان عليها أن تتفق مع هوشي منه الذي أعلن استقلال بلاده، وفعلا دخلت فرنسا في مفاوضات معه في 06جويلية 1946م في قصر فونتنبلو وامتدت إلى غاية 13سبتمبر، دون أن تسفر إلى أيّ نتيجة، بسبب اختلاف وجهات النظر بين الطرفين، وخاصة حول أربع نقاط أساسية؛ وهي:

– رغبة فرنسا أن تقيم اتحاد فيديرالي يجمع دول الهند الصينية: فيتنام، لاووس، وكمبوديا، ويكون على رأسه حاكما فرنسيا، بينما كان هوشي منه يطالب باستقلال تام للفيتنام ضمن الإتحاد ورفض المقترحات الفرنسية.

– اشتراط فرنسا أن تحصل وحدها على امتيازات ثقافية واقتصادية، مقابل اعترافها للفيتنام بحق تمثيل خارجي.

– إصرار هوشي منه على قيام حكومة من الفيت–منه، مكان الحكومة التي عيّنتها فرنسا في كوشنشين قبل الاستفتاء المتفق عليه، والخاص بتقرير المصير كوشنشين.

– الاختلاف فيما يخص كيفية تمثيل دول الهند الصينية في المجلس الفيديرالي؛ فهوشي منه يريد مراعاة النسبة العددية بين دول الاتحاد، في حين كانت فرنسا تصرّ على أن يكون لممثلها الدور الأوّل[1].

[1]– لبيب عبد الستار: المرجع نفسه، ص231، 232.

أدّى فشل المفاوضات إلى لجوء الطرفان لاستعمال القوة[1]؛ فقد تصدّت قوات الفيت – منه للجاليات الفرنسية في "هانوي"، وردّ الفرنسيون على ذلك بوحشية أجبرت هوشي منه على الاعتصام بالجبال، وتنظيم المقاومة المسلحة[2]، فتلقى المساعدات المالية والعسكرية من الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية بعد اعترافهما بحكومته، وفي المقابل قدّمت الولايات المتّحدة الأمريكية والدول الغربية الحليفة لها المساعدات المختلفة لفرنسا، بالإضافة إلى اعترافها بحكومة باوداي، الذي اعترفت له فرنسا من قبل بالحكم في جنوب الفيتنام، وأصبح متعاونا وحليفا لها[3]، وانتهت هذه الحرب بهزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو[4] في ماي 1954م، بقيادة الجنرال جياب[5]، واضطرت إلى الانسحاب بعد أن خسرت أكثر من 16 ألف رجل بين قتيل وجريح وأسير[6].

وبعد هذه الهزيمة، وأمام ضغط الرأي العام الفرنسي، وتدخّل الوم أ والاتحاد السوفياتي في القضية، تقرّر عقد مؤتمر جنيف في جويلية 1954م لإيجاد حل لمشكلة الهند الصينية، وقد شارك في هذا المؤتمر كلّ من: الفيتنام الشمالية، والفيتنام الجنوبية، الصين الشعبية، الصين الوطنية، الاتحاد السوفياتي، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، وفرنسا؛ وانتهى إلى القرارات التالية:

---

[1]– ذكر الجنرال كيف تمّ استئناف القتال بدءا من 19 أكتوبر 1946، عندما فشلت المفاوضات في تحقيق أي نتائج، وأخذهم أهبة الاستعداد للقتال، انظر:

– فونقوين جياب: مذكّرات الحرب، تحرير: هيو ماي، تر: عبد الوهاب محمّد الزنتاني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ج01، ص44.

[2]– أعطى هوشي منه تعليماته للجنود بالقول أنّه: "...في المدن يجب تحويل كلّ شارع إلى خندق، وفي الأرياف فإنّ كلّ قرية يجب أن تتحوّل إلى قلعة ، إنّ مقاومتنا سوف تشمل كلّ الشعب في كلّ المجالات للحرب الدائمة..."، انظر: – نفسه: ص45.

[3] – لبيب عبد الستار: المرجع نفسه، ص ص 232، 234.

[4]– تعتبر المعركة الفاصلة بين فرنسا والفيتناميين، حول حصن ديان بيان فو، الذي بنته فرنسا في الشمال الغربي من مدينة هانوي، حاصرته القوات الفيتنامية بقيادة فو جياب لمدة سنة وخمسين يوما، بعدها استسلم كلّ من تبقى من القوات الفرنسية على قيد الحياة، وهي من المعارك الشهيرة في التاريخ الحديث، أكسبت الجنرال جياب هذه الشهرة، انظر: – فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص109.

[5]– ولد في 25 أوت 1911 بولاية كوناع بنه، درس الاقتصاد السياسي في هانوي، قبل أن يعمل مدرّسا للتاريخ والأدب في إحدى الكلّيات، وعمل صحفيا سرّيا، وانضم إلى حزب الهند الصينية الشيوعي، فرّ إلى الصين عام 1939 والتقى بهوشي منه القائد الذي كان يخطط للقيام بثورة خلال عقود من عيشه في المنفى، انظر:

– "فونغوين جياب العدو الشريف الذي قهر عتاة الاستعماريين"، مجلّة العرب، السنة 36، العدد 9347، 11 أكتوبر 2013، ص12.

[6]– فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص109.

- تقسيم الفيتنام مؤقتا إلى قسمين ، يفصل بينها خط عرض 17ْ.

- جلاء قوات كل طرف عن أراضي الآخر، وفق التقسيم المذكور.

- إجراء استفتاء قبل نهاية شهر جويلية عام 1956م، حول توحيد الفيتنام الشمالي والجنوبي[1].

أصبحت ما سمّيت الفيتنام الشمالية مستقلة بعد عام 1954 يتزعمها هوشي منه وحركته الشيوعية وتتلقى دعما ماديا وعسكريا من الاتحاد السوفياتي، كما أنّ اللافت للانتباه أنّ الوم أ كانت حاضرة في الاتفاقية لكنها لم تمض عليها؛ والسبب الأساسي هو نيتها المبيتة في السيطرة على المنطقة، واحتلال الفيتنام، عندما سارعت إلى تقديم مساعدات مالية إلى حكومة ساي غون الجنوبية في أكتوبر 1954م[2].

[1]– لبيب عبد الستار: المرجع نفسه، ص235، 236. – فايز صالح أبو جابر: المرجع السابق، ص ص109، 111.

[2]– انظر التغلغل والتدخل الأمريكي في المنطقة: – فايز صالح أبو جابر: المرجع نفسه، ص ص 113، 125.

المحور الرابع

نماذج من الحركات التحرّرية

في قارة إفريقيا

المحور الرابع: نماذج من الحركات التحرّر في قارة إفريقيا

أولا- كفاح تونس في سبيل الاستقلال:

لما تهيأ الجو لفرنسا وأعدّت نفسها لافتراس الضحية الثانية في بلاد المغرب بعد الجزائر، بدأت تتصيّد الأعذار وتخلقها لتتدخل في شؤون تونس، فتذرعت الحكومة الفرنسية بضرورة حماية الحدود الجزائرية لتبرير تدخلها في تونس مدّعية أنّ هذه الحدود تتعرّض باستمرار لهجمات القبائل التونسية وبالخصوص قبائل خمير، واستغلت المناوشات التي جرت على الحدود مع قبيلة خمير التونسية في مارس1881م لتتدخل عسكريا في الإيالة بدعوى الحفاظ على الأمن والحدود، ثمّ آل الأمر إلى مواجهة بين الجيوش الفرنسية والقبائل التونسية يومي 30و31مارس 1881م[1].

وفي يوم 24أفريل1881م، تسرّبت كتيبة فرنسية تضم **35ألف** رجل من الجزائر إلى البلاد التونسية، وفي 12ماي دخلت حامية فرنسية إلى **قصر الباردو** بمعية القنصل الفرنسي **روسطان** بعد أن أعلم الباي رسميا بهذه المقابلة، ولم يكن أمام **الباي محمد الصادق(1859-1882)** من خيار إلا أن يخضع ويوقّع على معاهدة الباردو في 12 ماي 1881م، التي كرّست الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية وذلك رغم المقاومة التي قام بها الأهالي خصوصا بالقرى والأرياف، وكنتيجة لكلّ هذه الأوضاع فقدت تونس استقلالها وسيادتها، وأفلت حركة النهضة التي تميّزت بها خصوصا في عصر أحمد باي وعهد الوزير الأكبر خير الدين باشا[2].

---

[1]- بدأ التغلغل الأوروبي في البلاد التونسية منذ النصف الأول من القرن 19م، والذي استغل من طرف الفرنسيين في تهيئة الظروف لاحتلال تونس، انظر:

- يحي الغول: "جذور الحماية الفرنسية"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص ص 7، 28.

[2]- الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية وطنية جديدة(1830-1956)، ط02، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990، ص25.

01- المؤثرات البارزة في الحركة الوطنية التونسية:

كانت للحركة الوطنية التونسية التي ارتكزت على دعائم شعبية، روافد فكرية وسياسية وروحية غذّت ووجّهت منطلقاتها النظرية وتجاربها العملية؛ وأبرز تلك المؤثرات والروافد النظريات الإصلاحية التي نادى **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** بتطبيقها في العالم الإسلامي لإحياء العقيدة الصحيحة، وتجديد النظم السياسية، إضافة إلى مراكز الثقافة العربية الإسلامية الصامدة، التي صانت التراث الروحي والحضاري للأمة، وفي مقدمتها جامع الزيتونة، والمعاهد التي استحدثها الإصلاح قبل فرض الحماية، لتدريس العلوم العصرية والإنسانية وربطها عضويا بالمبادئ العصرية؛ كالمعهد الصادقي الذي أسّسه "خير الدين" عام 1875م، والمدرسة الحربية بباردو، إذ ساهمت هذه الحركة التعليمية في نشر هذه المبادئ والتعريف بها بالبلاد التونسية قبل انتصاب الحماية[1].

وتعود أولى بوادر الحركة الوطنية التونسية إلى حركة أعيان العاصمة؛ فبعد المقاومة التي أظهرها محمّد العربي زروق[2]، شكّل **الشيخ محمد السنوسي** وفودا شعبية توجّهت لمقابلة الباي ومطالبته بإيقاف الفرنسيين، ما جعل السلطات الفرنسية تقدم على نفيه إلى خارج تونس، وبعد عودته من المنفى دعا إلى تكوين حركة العروة الوثقى عام 1882، والتي تعرّف على أهدافها عندما كان منفيا في مصر، ووجدت لها استجابة قوية وحماسا كبيرا في أوساط التونسيين، خاصّة من علماء جامع الأزهر الثائرين وأركان الحركة الإصلاحية، وفي مقدّمتهم الشيخ سالم بوحاجب وتلاميذه[3].

وأصدر فريق من المثقفين التونسيين جريدة أسبوعية سنة 1888م، سموها الحاضرة، وكان ذلك الفريق مؤلفًا من صادقيين أمثال **علي بوشوشة**(صاحب الجريدة) و**البشير صفر** وزيتونيين مجددين

---

[1]- محمّد لطفي الشابي: "الحركة الوطنية التونسية 1907-1956"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص 63.

[2]- بدأ محمد العربي زروق مقاومة النفوذ الفرنسي في البلاط التونسي، وعارض توقيع معاهدة باردو، واضطره توقيعها إلى الفرار من انتقام الوزير مصطفى بن إسماعيل، وهاجر إلى الشرق، انظر: - علي البلهوان: تونس الثائرة، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص46.

[3]- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص30، 31.

أمثال الشيخين **محمد السنوسي** و**سالم بوحاجب**، وجميعهم من رجال الوزير خير الدين، وقد التزموا بالدفاع عن مصالح التونسيين المضمونة بموجب معاهدة الحماية، وتكوين رأي عام تونسي، بما كانت تورده من أخبار داخلية وخارجية وانتقادات لبعض تجاوزات الإدارة الاستعمارية، وذلك في نطاق ما كان يؤمن به فريق الجريدة من ضرورة إيقاظ التونسيين، وقد اصطدمت أفكارهم بمقاومة المحافظين من الزيتونيين، الأمر الذي دفعهم إلى تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896م. وتلا ذلك تأسيس جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية سنة 1905م[1].

02- مظاهر الكفاح السياسي في تونس ومراحله:

ظهرت الأحزاب السياسية التونسية على مسرح الأحداث مع بداية القرن العشرين، بعد تبلور المفاهيم الوطنية لدى الطليعة المثقفة، التي عبّأت الجماهير وقادت نضالها من خلال تنظيمات حزبية وعمّالية نستعرض أهمّها فيما يلي :

أ- حزب تونس الفتاة :

قامت كلّ من الجمعية الخلدونية وجمعية خريجي المعهد الصادقي بدور بارز في تنمية الشعور الوطني، ونشر مبادئ الجامعة الإسلامية بين روادهما، فمهدا بذلك السبيل لظهور حركة الشباب التونسي، أو ما عرف بحركة تونس الفتاة، تلك الحركة التي أصدرت سنة 1907م جريدة أسبوعية فرنسية اللسان تعبر عن آرائها ومطالبها أسمتها التونسي(le Tunnisien)[2] ، وكان جل مُكوّني الحركة من خريجي المدرسة الصادقية ذوي الثقافة المزدوجة المتشبعين بأفكار الثورة الفرنسية، ومن أبرزهم **علي باش حامبه(1876.1916م)**. وبانضمام العنصر الزيتوني المتأثر بفكر النهضة العربية

---

[1]- الطاهر عبد الله: المرجع السابق، ص32، 33 ، انظر أيضا: - علي المحجوبي: النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان؟، مركز النشر الجامعي، سراس للنشر، تونس، 1999، ص ص151، 153.

[2]- توفيق العيادي: "حركة الشباب التونسي(1907-1912)"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص69، 70.

الإسلامية إلى الحركة من أمثال الشيخين **محمد السنوسي وعبد العزيز الثعالبي**[1]، صدر للجريدة بدءا من 08 نوفمبر 1909م ملحق باللغة العربية كان يشرف على تحريره الشيخ الثعالبي[2]، وكانت المطالبة بسياسة المشاركة والمساواة بين التونسيين والفرنسيين هي المحور الذي دارت عليه كتابات هذه الجريدة، ورغم ذلك فقد تعرضت لحملة شعواء من قبل ممثلي الجالية الفرنسية وصحفهم، أما عن الممارسة العملية لهده الحركة على الصعيد السياسي، فتجلت في تنظيم عدد من الإضرابات والمظاهرات، كان أهمها حادثتي الجلاز[2] في 07 نوفمبر 1911م، والترام[3] في 09 فيفري 1912م والتي أسفرت عن استشهاد عشرات من الوطنيين، وأدت إلى فرض الأحكام العرفية في البلاد، وتوقيف صدور جريدة التونسي، وطرد زعماء تونس الفتاة من البلاد، والذين اختاروا الأستانة لمقامهم[4].

ب- لجنة تحرير المغرب العربي :

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، وسَّعت فرنسا حالة الحصار لتشمل كامل البلاد التونسية، وزجَّت بما يزيد عن 65 ألفًا من الشباب التونسي في أتون معاركها بأوروبا، فقتل منهم نحو 12 ألفًا،

---

[1]- طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص39، 40.

[2]- توفيق العيادي: المرجع السابق، ص76.

[2]- هاجمت إيطاليا طرابلس الغرب سنة 1911م ، مما أثار شعور التونسيين، وأصبحت تونس ممرًا سريًا للضباط والمتطوعين العثمانيين القادمين من أوروبا إلى طرابلس .في هذه الظروف أعلنت بلدية مدينة تونس قرارها بتسجيل مقبرة الجلاز الإسلامية، وكان ذلك معناه أنها ستصادرها، فتجمعت الجماهير بالمقبرة في اليوم المحدد لعملية المسح (1329/12/19هـ الموافق 11/7/ 1911م). ولم يمنع الإعلان عن تراجع البلدية عن قرارها من وقوع اشتباكات دموية سقط فيها عشرات التونسيين بين شهيد وجريح، مع ثمانية قتلى بين فرنسيين وإيطاليين، انظر:
- طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص ص45، 47. - توفيق العيادي: نفسه، ص ص76، 80.

[3]- في الوقت الذي كانت فيه الأعصاب مشدودة ومحاكمة المتهمين في حوادث الجلاز مازالت دائرة، دهس إيطالي من سائقي الترام بالعاصمة طفلاً عربيًا يوم 09 فيفري1912م، فانتشرت دعوة بين السكان للامتناع عن ركوب عربات الترام حتى تفصل الشركة، وهي فرنسية، كافة موظفيها الإيطاليين، وما لبث أن دخل موظفو وعمال تلك الشركة من العرب في إضراب عن العمل، على أساس أنها تمارس معهم سياسة تمييز عنصري فيما يخص الأجور والترقيات. وبدأت حركة المقاطعة منظمة بشكل أزعج السلطة، وأعطاها بعدًا سياسيًا، انظر:
- طاهر عبد الله: نفسه، ص ص49، 52. - توفيق العيادي: نفسه، ص80، 81.

[4]- علي البلهوان: المصدر السابق، ص47. - توفيق العيادي: نفسه، ص81.

واشتد نشاط زعماء "تونس الفتاة" المنفيين في الأستانة فأسّسوا مع المهاجرين الجزائريين والطرابلسية لجنة لتحرير المغرب العربي سنة 1916م، وأسس محمد باش حامبه في نفس السنة فرعًا لها بسويسرا، وأصدر مجلة المغرب للدفاع عن قضية تونس والجزائر، لكن انهزام تركيا في الحرب وموت علي باش حامبه قضى على ذلك المشروع في مهده[1].

وعلى إثر إعلان مبادئ الرئيس ولسن الأربعة عشر حاول بعض الوطنيين التونسيين وفي مقدمتهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي عرض قضية بلاده في مؤتمر الصلح الذي عقد بباريس عام 1919م، وقدّم مذكرة يطالب فيها باستقلال تونس، ولكن المؤتمر رفض الاستماع إلى وجهة نظر الشعب التونسي؛ ممّا دفع الثعالبي إلى نشر كتاب باللغة الفرنسية في باريس بعنوان "تونس الشهيدة"[2]، فضح فيه دسائس الاستعمار وجرائمه في حق الشعب التونسي[3].

ج- الحزب الدستوري التونسي :

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وافتضاح تآمر الحلفاء على الأمة العربية تولد لدى الشباب الوطني إيمان قوي بضرورة التجمع داخل إطار حزب سياسي منظم، يتولى توجيه الجهود، وبلورة أهداف النضال السياسي، فظهر "الحزب الدستوري" سنة 1920م ، بزعامة عبد العزيز الثعالبي[4].

---

[1]- – طاهر عبد الله: نفسه، ص ص53، 54. – علي البلهوان: المصدر السابق، ص47، 48.

[2]– أدّى ذلك إلى إقدام السلطات الفرنسية على اعتقاله وإرجاعه إلى تونس مكبّلا بالحديد، ورميه في أحد سجونها، رغم أنّ الكتاب لم يكن من الإنتاج الشخصي للثعالبي كما هو شائع، وإنّما كان ثمرة جهود ثلة من أعضاء الحزب التونسي، مثل: الصادق الزمرلي، المنصف المستيري، وعلي كاهية، انظر: – طاهر عبد الله: نفسه، ص 54، – علي البلهوان: المصدر نفسه، ص48.

– محمّد لطفي الشايبي: "الحزب الدستوري التونسي(1920-1934)"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص86، 87.

[3]– قال الثعالبي في مقدّمته أنّ "هذه المذكّرة ليست سوى عرض للوضع الذي إلنا إليه تحت نظام الحماية الفرنسية ولمطالبينا... وهناك سبب آخر لا يقل أثرا في هذه العواطف وهو أنّ الجزء السليم من الرأي العام الفرنسي لم يطلع على عرض صادق للمسألة التونسية، وفي كلّ مرّة وصلت هذه المسألة إلى منبره جاءته ناقصة مشوّهة..."، انظر: – عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان، 1975، ص25، 26.

[4]– علي البلهوان: المصدر السابق، ص48. – محمّد لطفي الشايبي: المرجع السابق، ص87، 88.

طالب الحزب منذ تأسيسه كلاّ من الباي والمقيم الفرنسي بتحقيق برنامج إصلاحي يتمثل في تشكيل مجلس للنواب يشارك فيه التونسيون، وإقامة حكومة تكون مسؤولة أمام هذا المجلس، وإرجاع الأراضي المصادرة، وأملاك الأوقاف إلى أصحابها، ولكن فرنسا سعت إلى خنق هذه القوة الناشئة، فاعتقلت الثعالبي[1] وبعد الإفراج عنه عاد إلى تونس ليترأس الحزب من جديد وهو أشد ما يكون تمسكا بمبدأ الاستقلال التام، وأصر على رفض المراسيم الإصلاحية التي أصدرها المقيم العام سنة 1922م، والهادفة إلى توسيع صلاحيات المستوطنين، واتخذ الباي محمد ناصر (1906- 1922م) نفس الموقف الصلب الذي وقفه الثعالبي، فآثر التنازل عن العرش على أن يوقع عليها[2]، ولم تجد فرنسا آنذاك من يقبل التعاون معها سوى طائفة قليلة من السياسيين المأجورين أطلقت على نفسها اسم حزب الإصلاح[3] قبلت العمل في ظل المراسيم الاستعمارية، وشاركت في المجلس الكبير الذي شكل المستوطنون غالبيته العظمى.

فقدت الحركة الوطنية التونسية بعد وفاة الباي محمد النصر أكبر سند لها ، فأشاعت السلطات الفرنسية جوا من الإرهاب والرعب وعطلت الصحف وأغلقت النوادي والجمعيات، وأقدمت على تشريد قادة الحركة الوطنية، وفي مقدمتهم الثعالبي الذي نفي إلى الخارج، وأخذ ينتقل بين مصر والعراق وفلسطين، وبذلك أصيب الحزب بفترة ركود استمرت حتى عام 1931م[4].

---

[1]– ألقت السلطات الفرنسية القبض على الشيخ الثعالبي وأرسلته إلى تونس على ذمة المحكمة العسكرية، فأودع السجن العسكري بتهمة التآمر على أمن الدولة، انظر: – علي البلهوان: المصدر نفسه، ص49.

[2]– أدى رفض الباي لتلك الإصلاحات إلى تعرضه للمضايقات من السلطات الفرنسية، إذ حاصر الجيش والدبابات قصره ، ثم اضطر الفرنسيون إلى فك الحصار عن القصر تحت تأثيرات الضغط الشعبي والمظاهرات العارمة ، وبعد مدة قليلة توفي الباي، وترددت الشائعات التي تذكر أنه مات مسموما، انظر: – طاهر عبد الله: المرجع السابق، 56.

[3]– عندما أصدر المقيم العام لوسيان سان برنامجه للإصلاح الإداري سنة 1340هـ، 1922م، رفضه الحزب، لكن بعض أعضائه قبل ذلك البرنامج. وتعرض الحزب لأول تصدع نتج عنه ظهور ما عرف بحزب الإصلاح برئاسة حسن قلاتي، انظر:
– طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص56.

[4]– طاهر عبد الله: نفسه، ص56، 57.

د- حزب الدستور الجديد:

عاود الحزب الدستوري نشاطه سنة 1931م، بعد إمعان نظام الحماية في تحدّي المشاعر القومية للتونسيين؛ بيد أن ظاهرة جديدة ميّزت هذه المرحلة من تاريخ الحزب، وهي بروز ملامح خلاف على الأسلوب التنظيمي والسياسي بين أعضائه القدامى الذين استمروا في إصدار جريدة "التونسي"، وأعضائه الجدد المتأثرين بالثقافة الفرنسية، العائدين إلى تونس بعد مزاولة تعليمهم العالي بفرنسا، مثل: الحبيب بورقيبة، البحري قيقة، ومحمود الماطري، والذين أصدروا جريدة "العمل التونسي" (l'action Tunisienne) في نوفمبر 1932[1] .

ولكن المؤتمر المنعقد في 12ماي 1933م أكد على استمرار التماسك النضالي بين جناحي الحزب؛ إذ تمكنت اللجنة التنفيذية للحزب من وضع برنامج عمل مشترك يتضمن عدّة مطالب اجتماعية واقتصادية، إلا أنّ الخلافات عل خطوط البرنامج وأساليب النضال جعلت من مسألة الحفاظ على وحدة الحزب أمرا مستحيلا، زادها التخطيط لشق الحركة الوطنية من طرف المقيم الفرنسي **بيرتون** الذي نشط في بث الدسائس وافتعال الأزمات بين تياري الحزب[2].

وحصل الانشقاق في صفوف الحزب عقب انعقاد مؤتمر قصر الهلال بتونس في02 مارس 1934م ، الذي تمّ فيه حل اللجنة التنفيذية القديمة وانتخاب الديوان السياسي، والإعلان عن الحزب الحر الدستوري الجديد، برئاسة **محمود الماطري**، وأمانة المحامي **الحبيب بورقيبة**، بعدما فشلت محاولات الإصلاح بين الجانبين وإعادة وحدة الحزب، والتي قام بها الثعالبي بعد عودته إلى تونس سنة1937م[3].

---

[1]- محمّد لطفي الشايبي: المرجع السابق، ص95، 96. - طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص61، 62.

[2]- محمّد لطفي الشايبي: نفسه، ص 100، 101. - علي البلهوان: المصدر السابق، ص51.

[3]- محمّد لطفي الشايبي: "الحركة الوطنية(1934-1952)"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص103.

سلك هذا الحزب منهجًا مختلفًا، في النضال ضد الاستعمار، عن المنهج الذي كان يسلكه الحزب الدستوري القديم؛ تمثل في الاتصال بالجماهير العريضة وكسب الطبقة العاملة بضم الحركة النقابية تحت قبضته، فخاض الإضرابات، ونظم المظاهرات الشعبية، ومع ذلك دخل في المفاوضات مع فرنسا منذ نشأته الأولى؛ من ذلك أنه فاوض حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية بقيادة **ليون بلوم** سنة 1936م[1].

قادت الحركة الوطنية التونسية – في المقابل– طوال عامي 1937و1938م العديد من الإضرابات والتظاهرات للضغط على السلطات الفرنسية، ممّا أدى إلى وقوع عدد من المعارك الدامية في الكاف وتوزر ونفطة وتونس العاصمة وغيرها خلال شهري مارس وأفريل 1938م، سقط فيها مئات الشهداء والجرحى، واعتقل عدد كبير من المتظاهرين ومن قادة الحزب الحر الدستوري الجديد الذين زج بهم في السجن العسكري بتونس قبل نقلهم إلى حصن سان نيكولا بمارسيليا، و حُل حزبهم في 12 أفريل 1938م، والحزب الشيوعي التونسي عام 1939م[2].

وباندلاع الحرب العالمية الثانية واحتلال قوات المحور تونس في نوفمبر 1942م ، تقرّبت ألمانيا من **الباي محمد المنصف** ومن زعماء الحركة الوطنية، وأفرجت القوات الألمانية سنة 1943م عن الحبيب بورقيبة ومن كان معه في سجن حصن سان نيكولا بفرنسا، وسمحت له بالعودة إلى تونس، إلا أن انهزام ألمانيا وخروجها من تونس سنة 1943م مهّد لعودة الحماية الفرنسية من جديد في ظل إجراءات انتقامية كان أولها خلع الباي بتهمة التعاون مع الألمان[3]، ووضع بورقيبة تحت

---

[1]– سافر بورقيبة إلى باريس وهناك تمت صياغة مشروع إصلاحي (مجالس بلدية ، قروض زراعية،..) ، غير أن المستوطنين الفرنسيين قاموا بإثارة اضطرابات الأمر الذي أدى إلى تردد الحكومة الفرنسية في الموافقة على المشروع ، مماد فع الحزب الدستوري الجديد إلى العمل إلى العمل السري عن طريق الخلايا السرية والمنشورات، انظر: – علي البلهوان: المصدر نفسه، ص53، 54. – طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص63.

[2]– طاهر عبد الله: المرجع نفسه، ص65، 66. – علي البلهوان: المصدر نفسه، ص53، 55.

– علي المحجوبي: الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986، ص ص112، 115.

[3]– نفي إلى الصحراء الجزائرية ثم إلى فرنسا حيث توفي سنة 1367هـ/ 1948م، انظر: – طاهر عبد الله: المرجع نفسه، ص69.

الإقامة الجبرية، وتعريض الشعب لشتى ضروب الاضطهاد بحجة تطهير البلاد من عملاء الألمان[1].

03- تطوّر القضية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية:

تصاعد الكفاح السياسي التونسي في الفترة التي أعقبت الحرب، وذلك بتأثير جملة من المعطيات الجديدة، والمتمثلة في استعادة الجبهة التونسية السياسية لتماسكها، وانضمام الحبيب بورقيبة بعد فراره إلى القاهرة عام 1945م إلى لجنة تحرير المغرب العربي[2]، وقد نشط الوطنيون التونسيون في مكتبها الذي كان برئاسة الأمير **عبد الكريم الخطابي**[3]، وفي تونس كانت قد بدأت الحركة النقابية الوطنية تعيد تنظيم صفوفها خارج إطار النقابات الفرنسية، وتمّ بناء الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1945م، وتولى أمانته العامة **فرحات حشاد**[4].

كما كان من دلائل التصاعد الإيجابي في نشاط الجبهة الوطنية انعقاد مؤتمر شعبي ليلة 27 رمضان 1365هـ/23أوت1946م عرف بمؤتمر ليلة القدر، شاركت فيه جميع الاتجاهات السياسية الوطنية، وأصدرت ميثاقا وطنيا طالب بإسقاط نظام الحماية، والمطالبة بالاستقلال التام، وذلك قبل أن يتمكن أعوان السلطة الاستعمارية من اقتحام مقر الاجتماع والقبض على الحاضرين[5]، وتلا ذلك

---

[1]– طاهر عبد الله: المرجع نفسه، ص69، 70.

[2]– وهو المكتب الذي أسّس بالقاهرة بعد انعقاد مؤتمر المغرب العربي ما بين بين 15 و22 فيفري 1947 بين الأحزاب الثلاثة(الجزائر: حزب الشعب)، (تونس: حزب الدستور)، (المغرب: رابطة الدفاع عن مراكش)، من أجل تنسيق العمل المشترك بين الحركات الوطنية المغربية الثلاث، انظر: – امحمد مالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (سلسلة أطروحات الدكتوراه: 20)، ط02، بيروت ، لبنان، أوت 1994، ص ص450، 457. وأيضا: – طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص ص72، 73.

[3]– بعد سفر الحبيب بورقيبة والقليبي إلى القاهرة، تولى صالح بن يوسف قيادة حزب الدستور الجيد، انظر:
– طاهر عبد الله: المرجع نفسه، ص ص71، 73.

[4]– محمّد لطفي الشايبي: "الحركة الوطنية(1934–1952)"، المرجع السابق، ص118، انظر أيضا:
– الحبيب ثامر: هذه تونس، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، (د.ت)، ص108، 109.

[5]– ألقت السلطات الاستعمارية القبض على 46 مشاركا من جملة 300 من المؤتمرين، وكان في مقدّمتهم الزعيم صالح بن يوسف، والمنجي سليم، وصالح فرحات، والشيخ الفاضل بن عاشور، وردّت المنظمات الوطنية بشن إضراب يوم 30 أوت 1946 للمطالبة بإطلاق سراح القادة المعتقلين، انظر: – محمّد لطفي الشايبي: نفسه، ص118.

توتر الحالة السياسية والاجتماعية بالبلاد، وأظهر فرحات حشاد تعاونًا واسعًا مع **صالح بن يوسف** الأمين العام للحزب الدستوري الجديد، الذي تولى قيادة الحزب في غياب رئيسه بورقيبة[1].

04- الثورة التونسية المسلحة:

في ظل الظروف التي كان يعيشها الشعب التونسي بسبب السياسة الاستعمارية، ويأسه من جدوى العمل السياسي في تحقيق الاستقلال، والظروف الدولية المساعدة بقيام ثورة 23 جويلية بمصر، واندلاع الحرب في الهند الصينية، قرّر التونسيون التوجه نحو العمل المسلح، فعقدت الحركة الوطنية مؤتمراً سرياً في 18 جانفي1952م قرّرت فيه سقوط الحماية، واعتبار المعمّرين الفرنسيين جالية أجنبية، وفي اليوم نفسه اعتقلت السلطات الفرنسية عدداً من قادة الحزب الدستوري الجديد وفي مقدّمتهم **الحبيب بورقيبة** و**المنجى سليم** و**الهادي شاكر**[2].

ومرّت الثورة التونسية المسلحة التي شكّل الفلاحون دعامتها الأساسية – وسبقها استعداد وتحضير[3]– بمرحلتين بارزتين تبعا لأسلوب العمل الثوري؛ وهما:

أ- مرحلة الانطلاق(1952-1954):

بدأت المقاومة التونسية المسلحة ضد الفرنسيين بعمليات فدائية جريئة في جنوب تونس وفي منطقة قابس خاصة، استهدفت اغتيال الخونة وإلقاء القنابل على القوافل العسكرية، ولم تتمكن الثورة

---

[1]– محمّد لطفي الشايبي: "الحركة الوطنية(1934-1952)"، المرجع السابق، ص119، انظر أيضا:
– عبد السلام بن حميدة: "الحركة النقابية(1924-1952)"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص ص137، 139.

[2]– طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص100.

[3]– أخذ الحزب الدستوري الجديد يستعد للكفاح، واستفاد من تجربة المتطوعين التونسيين في حرب فلسطين، وقام بتكوين هيئة قومية للمقاومة بقيادة أحمد التليلي من أجل التحضير وتنظيم الكفاح المسلّح، انظر: – خليفة الشاطر: "المقاومة والتحرير(1952-1956)"، ضمن: تونس عبر التاريخ- الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص ص143، 146، وأيضا: – طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص103.

في هذه المرحلة من توسيع جبهة عملياتها بسبب افتقارها للسلاح، واغتيال معظم قادتها على غرار **فرحات حشاد**(في 05 ديسمبر 1952م) و**الهادي شاكر**(**سبتمبر 1953م**) على يد منظمة اليد الحمراء الفرنسية[1].

ب- مرحلة القوة 1954م:

اشتد ساعد الحركة الثورية في عام 1954م واتسع نطاق عملياتها بتأثير اندلاع الثورة الجزائرية، وانتصار الثورة الفيتنامية، وامتد نشاط الثوار من سوسة شرقا إلى الحدود الجزائرية غربا، وبتأثير هذا التصاعد المسلح أبدت فرنسا استعدادها لمنح تونس استقلالها الذاتي شريطة وقف الثوار للعمليات العسكرية، وتسليم أسلحتهم خلال مدّة أقصاها 09 ديسمبر 1954م[2].

05- المعارضة والاستقلال:

أثارت قضية إنهاء الثورة وتسليم السلاح عاصفة من الخلاف داخل الحزب الدستوري الجديد، وقد اتسعت شقة هذا الخلاف بعد قبول بورقيبة لاتفاقية 03 جوان1955م التي نصّت على منح تونس الاستقلال الداخلي مع احتفاظ فرنسا بشؤون الدفاع والخارجية، فوقف الأمين العام للحزب صالح بن يوسف ضدّ هذه الاتفاقية وأعلن مع أنصاره رفضهم البات لها[3].

---

[1]- طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص ص106، 109، انظر أيضا: - خليفة الشاطر: "المقاومة والتحرير(1952-1956)"، المرجع السابق، ص153، 154.

[2]- طاهر عبد الله: نفسه، ص ص109، 113.

[3]- كان صالح بن يوسف قد ترأس وفدا تونسيا لمؤتمر باندونغ، وعندما بلغه نبأ توقيع الاتفاقية التونسية الفرنسية أعلن من باندونغ في تصريح له: "إنّ الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقعتها تونس مع فرنسا"، انظر: - طاهر عبد الله: المرجع السابق، ص 114.
- خليفة الشاطر: "المقاومة والتحرير(1952-1956)"، المرجع السابق، ص172.

ولمّا خشيت فرنسا من تعاظم قوة المعارضة[1]، ومع اشتداد الثورة الجزائرية، سارعت إلى تعديل الاتفاقية السابقة[2]، وبعد اللقاء بين الحبيب بورقيبة ورئيس الحكومة الفرنسية غي مولي، تمّ الاتفاق على إرسال وفد للتفاوض، استطاع في 20 مارس 1956م التوقيع على الاتفاق الذي تعترف فرنسا بمقتضاه باستقلال تونس[3]، مع الاحتفاظ بقاعدة بنزرت[4]، وكانت أولى الخطوات التونسية التي أعقبت هذا الاعتراف إلغاء النظام الملكي، وقيام نظام جمهوري برئاسة الحبيب بورقيبة في 25 جويلية 1957م، والإعلان عن الدستور التونسي في 01 جوان 1959، أمّا الجلاء عن قاعدة بنزرت فلم يتحقّق إلا في 15 أكتوبر 1963م[5].

---

[1]- اعتبرها مثلا يوسف الرويسي عضو المكتب السياسي للحزب بأنّها مؤامرة استعمارية، كما أنّ علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي وصف الاتفاق التونسي الفرنسي بأنّه أعظم خيانة وقعت في شمال إفريقيا منذ 250 سنة، انظر: – طاهر عبد الله: نفسه، ص114، 115.

[2]– طاهر عبد الله: نفسه، ص128.

[3]– خليفة الشاطر: "المقاومة والتحرير (1952–1956)"، المرجع السابق، ص128.

[4]– أبقت فرنسا على حضورها العسكري في عدّة مناطق من البلاد أهمّها على الإطلاق مدينة بنزرت، ذات الموقع الاستراتيجي المتميّز بجنوب مضيق مسينا الفاصل بين حوضي المتوسّط، كما حافظت على أراضي المعمّرين الزراعية بأخصب الأرياف التونسية، انظر:

– عبد الجليل بوقرة: "الدولة الوطنية (1956–1987)"، ضمن: تونس عبر التاريخ– الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03، ص179، 180.

[5]– نفسه: ص ص180، 182.

ثانيا- الكفاح التحرّري في المغرب الأقصى:

أصبحت المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس1912م تحت إشراف كلّ من فرنسا وإسبانيا[1]، وقسّم المغرب من الناحية التنظيمية إلى قسمين: بلد المحزن وهي المناطق الخاضعة للحكم المركزي الشريفي، وبلد السيبة(الثورة) وهي المناطق التي يحكمها قادة محلّيون[2]، وخاض المغاربة العديد من المقاومات المسلحة **كمقاومة فاس** 1912م، و**مقاومة السوس**(1912-1919) بزعامة ابن ماء العينين، و**مقاومة الريف**(1921-1926) بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولم يتم للمستعمر إخضاع البلاد نهائيا إلا في حدود 1934م، حين قضت على مقاومة البربر في جنوب تافيلالت، كما لم يستطع الإسبان – ورغم الاتفاق الفرنسي- احتلال آفني إلاّ عام 1934؛ أي بعد أن قاوم سكانها مدّة ثلاثين سنة[3].

01- نشأة الحركة الوطنية المغربية:

ظهرت أولى إرهاصات الحركة الوطنية بعد عقد معاهدة فاس 1912م، وقد بدأت هذه الحركة بتأسيس جماعتين صغيرتين من الشباب أخذوا على عاتقهم منذ بداية نشاطهم، العمل على إعادة الاستقلال للبلاد، لكن عملهم ظل في الخفاء إلى غاية 1932م، وتكوّنت إحدى هاتين الجمعيتين في مدينة الرباط وكان الناطق الرسمي باسمها أحمد بلفريج، أمّا الجمعية الثانية فنشأت في فاس سنة

---

[1]- تم ذلك بعد تهيئة الفرنسيين للظروف، وعقب سلسلة من الاتفاقيات الثنائية، كالاتفاق الفرنسي الإيطالي عام 1902، والاتفاق الفرنسي الإنجليزي عام 1904، ومصادقة إسبانيا عليه في أكتوبر 1904، والاتفاق الفرنسي الألماني عام 1911 والذي تم فيه إطلاق يد فرنسا في مراكش مقابل تنازل فرنسا لألمانيا عن جزء من الكامرون الفرنسي، انظر: - رأفت غنيمي الشيخ: التاريخ المعاصر للأمّة العربية الإسلامية،1412-1992، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1412هـ/1992م، ص 97، 98.

[2]- عبد الحميد المرنيسي: الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيّام الاستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط، 1978، ص12، 13.

[3]- عبد الله العياشي: "جذور المقاومة المغربية ومراحل تطورها"، ضمن: المقاومة المغربية ضدّ الاستعمار1904-1955، الجذور والتجلّيات، أعمال الندوة العلمية 13، 14، 15 نوفمبر 1991، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، سلسلة الندوات والأيّام الدراسية، 1997، ص ص72، 74.

1925م وكان ناطقها الرسمي الأستاذ علال الفاسي، واتفقتا في غايتهما وهي تكوين دولة مغربية تساير التطور الحضاري، ومقاطعة كلّ ما هو أجنبي[1].

وكانت من أهم العوامل في نشوء هاتين الجمعيتين، تذمر الشعب المغربي من جرّاء السياسة الاستعمارية، والتشجيعات التي استلهمها المغاربة من مقاومة الريف، إضافة إلى انتشار الأفكار الإصلاحية في المغرب، وظهور الحركة السلفية ومطالبتها بالرجوع إلى الدين الصحيح وتعاليمه، والتي كان من أكبر دعاتها أبو شعيب الدكالي ومحمّد بن العربي العلوي[2].

وبعد صدور **الظهير البربري**[3] في 16ماي 1930م، تطورت نظرة تلك الجمعيات التي أسّست في فاس والرباط وتطوان وأخذت تعمل على تنوير الرأي العام والمطالبة بإصلاح التعليم الجامعي خصوصا في القرويين وإصلاح حالة الطلبة، وتبادل الزيارات، ونشر المجلات؛ فأسست جماعة فاس برئاسة علال الفاسي مجلة شهرية سرية "**أم البنين**" كانت توزع سرا على بقية الجمعيات في المدن الأخرى، كما قامت تحركات مفيدة من بعض الطلبة الذين أتموا دراستهم في الخارج، سواء في فرنسا التي أسسوا بها "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين"، و"جمعية الثقافة العربية"، أو في القاهرة أين شاركوا في تأسيس "جمعية الشبان المسلمين" و"جمعية الهداية الإسلامية"[4]، ومن ذلك أيضا ما قام به أحمد بلفريج من نشاط سياسي وصحفي في كلّ من باريس والرباط من خلال جريدتي "المغرب" و"العمل الشعبي" أو "عمل الشعب"[5].

---

[1]– عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص 15.

[2]– نفسه: ص ص15، 17.

[3]– يرجع إصدار الظهير البربري(الظهير اليوسفي)(المرسوم) إلى المارشال ليوتي في سبتمبر 1914، والذي هدف إلى إحداث تقسيم في المجتمع المغربي وتحويل البلاد بالتدريج عن الإسلام والعربية؛ وهو ما صرّح به المارشال ليوتي نفسه: "أنّه ليس من مهامنا تعليم اللّغة العربية للسكان الذين لم يتعلموها لأنّها لغة القرآن وهي أحد العوامل المتعلّقة بالإسلام، وهدفنا هو تطوير البربر خارج إطار الدين الإسلامي"، والذي أصدر من جديد بظهير بربري آخر في 16 ماي 1930، في عهد السلطان الفتى محمّد بن يوسف، وتسخير إمكانيات علمية وتشريعية لوضعه موضع التنفيذ، انظر: – عبد الحميد زوزو: تاريخ الاستعمار والتحرّر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص82، 83.

[4] – عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص17، 18.

[5]– عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص84.

02- النضال السياسي حتى الحرب العالمية الثانية:

كانت مختلف النشاطات التي قامت بها الجمعيات تسير إلى العمل السياسي المنظم، وعلى إثر إصدار الفرنسيين لقانون "الظهير البربري" في 16ماي 1930م وجدت الطلائع الوطنية نفسها أمام مسؤولية خطيرة، هي مواجهة المحاولة الاستعمارية لتمزيق وحدة البلاد، فتشكلت على إثر ذلك "كتلة العمل الوطني" سنة 1932م[1]، والتي كان الشباب المثقف المتحمّس نواتها، وجامع القرويين معقلها ومنبرها[2]، فاعتبر ذلك نقطة تحول في العمل الوطني ضمن إطار الحركة الوطنية الجديدة المنظمة، والتي كان علال الفاسي من أنشط أعضائها، وقامت بإصدار العديد من الجرائد والمجلات؛ مثل مجلة **المغرب** بباريس، و**عمل الشعب** بفاس، ومجلة **السلام** بتطوان، إلا أنّ سلطات الإقامة العامة أصدرت قرارا بحل كتلة العمل الوطني في 18 مارس1937م[3].

واصل مناضلو كتلة العمل الوطني نشاطهم بعقد الاجتماعات والاتصالات رغم صدور قرار التوقيف، وقرّروا بعد فترة وجيزة تأسيس حزب جديد يشرف على تسيير شؤون الحركة الوطنية خلفا للحزب المنحل، فعقدوا مؤتمرا عاما في الرباط في أفريل 1937م، وأسسوا "الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية" وعيّن علال الفاسي رئيسا له، وعقد الحزب مؤتمرا عاما في 13 أكتوبر 1937م وأصدر **الميثاق الوطني**(كناش المطالب) يتضمن عدّة احتجاجات ومطالب قدّمت للمقيم العام، إلا أنّ هذا الميثاق كان سببا في إلقاء القبض على علال الفاسي يوم 25 أكتوبر 1937م من طرف المقيم العام نوجيس ونفيه في 03 نوفمبر 1937 إلى الغابون لأزيد من تسع سنوات[4].

---

[1]- عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص18، وحول مختلف ردود الأفعال على إصدار الظهير البربري، انظر:
- وليام هويسنطن: الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نوكيس1936-1943، تر: إبراهيم بوطالب، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة النصوص وأعمال مترجمة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، 2002، ص ص55، 91.

[2]- يذكر عبد الحميد زوزو أنّ الظهير البربري استطاع جمع شمل كلّ العناصر الوطنية ضمن حركة قومية سمّاها " كتلة العمل المغربي"، وذكر أنّها تأسست عام 1934، وبرزت فيها شخصيتي الوزاني واليازادي، انظر: - عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص84، 85.

[3]- عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص51، 62.

[4]- نفسه: ص ص63، 73.

03- الحركة الوطنية المغربية بعد الحرب العالمية الثانية:

عاود الوطنيون نضالهم السياسي في ظل متغيرات ح ع 2 (ميثاق الأطلسي)، فعمدت اللجنة التنفيذية للحزب الوطني إلى عقد مؤتمر يوم 11 جانفي 1944 بمدينة الرباط، نتج عنه تأسيس حزب جديد يعوّض الحزب الوطني باسم "حزب الاستقلال"، والذي أصدر وثيقة تاريخية طالب فيها بإسقاط نظام الحماية، وإعلان الاستقلال والوحدة التامة لجميع مناطق المغرب[1]، وقد واجهتها فرنسا باعتقال محرّريها بدءا من 30 جانفي 1944، وفي مقدّمتهم أحمد بلفريج[2].

وكانت عودة علال الفاسي إلى أرض الوطن، ودخوله مدينة فاس يوم 26 مارس 1946م[3]، مناسبة لتنسيق العمل بين الوطنيين والقصر الملكي وعلى رأسه الملك محمد الخامس، الذي أبدى استعداده لمساعدة الوطنيين والتضحية في سبيل الوطن ولو كلّفه ذلك خسارة عرشه، وبوقوف الملك إلى جانب الحزب في هذه المطالب، بدأت فرنسا تعد العدة للإطاحة به، فحاول المقيم العام **المارشال جوان** أن يفرق كلمة الشعب الملتفة حول حزب الاستقلال، كما حذّر الشعب منه ومن السياسة التي يتبعها الملك محمد الخامس نحو فرنسا، فدُبّرت مؤامرة التمرّد التي تزعمها الخائن تهامي الجلاوي، ولما فشلت محاولات فرنسا في إخضاع الملك وتيقنت أنه أصبح العروة التي يتمسك بها الشعب المغربي، قامت بحل حزب الاستقلال[4]، كما قام الجنرال **جيوم** بخلعه يوم 20 أوت 1953 بعد رفضه التنازل عن العرش وحملته منفيا إلى جزيرة كورسيكا ثمّ مدغشقر، ونصّبت على عرش المغرب ملكا ضعيفا هو محمد بن عرفة[5].

---

[1]– أبو بكر القادري: مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ص ص165، 169، انظر أيضا: – عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص98، 99.– عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص ص130، 132.

[2]– أبو بكر القادري: نفسه، ص ص236، 240.

[3]– عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص100.

[4]– جاء ذلك بعد أحداث 30 مارس 1952، ثمّ أحداث 07 ديسمبر 1952، فأقدمت السلطات الفرنسية على حل جزب الاستقلال، انظر:
– نفسه: ص132، 133.

[5]– نفسه: ص134، 135، انظر أيضا:
– فؤاد مصطفى: محمّد الخامس وكفاح المغرب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص ص 25، 31.

04- إعلان الاستقلال:

كان خلع السلطان محمد الخامس إيذانا بانفجار المقاومة الشعبية المسلحة من جديد، على شكل حرب فدائية اشتدت ضراوتها بتأثير اندلاع الثورة الجزائرية، وهزيمة الفرنسيين في الهند الصينية، فتكون جيش التحرير المغربي سنة 1955م تحت إشراف الدكتور الخطيب وعبد الطيف بن جلون، واتخذوا من تطوان وطنجة منطلقا للعمليات ضد الفرنسيين[1].

وأمام تزايد العمل الفدائي و تخوّف الإقامة العامة من ازدياد حدّة ذلك خاصة مع اقتراب ذكرى نفي السلطان 20 أوت 1955 فتحت الحكومة الفرنسية في أيكس ليبان مفاوضات مع محمد الخامس وقادة الحركة الوطنية[2]، انتهت بتوقيع اتفاقية نصت على عودة السلطان إلى المغرب في 16 نوفمبر 1955[3]، ويتم في 02 مارس 1956 توقيع اتفاقية " مغربية –فرنسية" لإنهاء الحماية، وفي 17 أفريل صدر" برتوكول مشترك إسباني – مغربي" ألغى نظام الحماية الاسبانية بالشمال، ومع 29 أكتوبر 1956 ألغي النظام الدولي بطنجة[4].

---

[1]– قدّم الحسن العرائشي شهادته المدعومة بوثائق حول إنشاء الخلايا السرية إلى تصعيد المقاومة المسلّحة بعد نفي محمّد الخامس والأسرة المالكة، كما وجّه علال الفاسي عبر إذاعة صوت العرب نداء للشعب المغربي، بعد نصف ساعة من نفيه، حثه فيها على اليقظة وتنظيم نفسه لمقاومة المعتدي وإخراجه من أراضيه، انظر: – الحسن العرائشي: انطلاق المقاومة المغربية وتطوّرها، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982، ص08 وما بعدها. وأيضا: – عبد الحميد المرنيسي: المرجع السابق، ص ص 137، 140.

[2]– الحسن العرائشي: المصدر السابق، ص ص 137، 140.

[3]– محمّد الفلاح العلوي: "ملاحظات حول المقاومة المسلّحة بين فرض الحماية واستقلال المغرب"، ضمن: المقاومة المغربية ضدّ الاستعمار 1904–1955، الجذور والتجلّيات، أعمال الندوة العلمية 13، 14، 15 نوفمبر 1991، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، سلسلة الندوات والأيّام الدراسية، 1997، ص ص 119، 123.

[4]– عبد الهادي التازي: الحماية الفرنسية بدءها– نهايتها حسب إفادات معاصرة، تعريب: عبد الهادي التازي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (د.ت)، ص ص197، 200.

ثالثا- **المقاومة الليبية حتى الاستقلال:**

يمكن أن نقسم الحرب بين الليبيين والإيطاليين إلى دورين، يمتد الدور الأوّل من سنة 1911م إلى 1917م، والثاني من 1922م إلى 1932م، أما الفترة الفاصلة بينهما(من1917م إلى 1922م) فكانت فترة هدنة واتفاقات ومعاهدات.

01- المقاومة الليبية بعد انسحاب العثمانيين:

لم تكن اتفاقية إنهاء الحرب العثمانية الإيطالية - بمقتضى معاهدة أوشي[1] 17أكتوبر1912م- ملزمة الشعب الليبي بإلقاء السلاح، لأنّها لم تعبّر عن إرادته، لذلك استأنف الشعب الليبي نضاله ضد الاحتلال الإيطالي[2]، على جبهتين:

أ- الجبهة الشرقية: وقاد الطلائع الثائرة فيها **عمر المختار** الذي كان من أوائل الذين لبّوا نداء الجهاد، واشتبك مع الإيطاليين في عدّة معارك وهاجمهم في بنغازي، وظل يقاوم الإيطاليين في تلك الجبهة حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914م[3].

---

[1]- وقعت المعاهدة في 18 أكتوبر .1912 في قلعة أوشي في أوشي بضواحي لوزان (بسويسرا) ووقعها من الجانب العثماني محمد نبيه بيك ورمبولغيون فخر الدين بيك ومن الجانب الإيطالي بييترو بورتيليني، جيودو فوسيناتو وجوزيبي فولبي، ومن بنودها يلتزم السّلطان التّركي بمنح الاستقلال الذّاتي لطرابلس وبرقة، وموافقة الحكومة الإيطالية أن يعين السّلطان العثماني القضاة في برقة وطرابلس، وسحب جميع الجنود والضّباط والموظفين من طرابلس وبرقة. انظر: - رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: تاريخ الجهاد في ليبيا ضدّ الغزو الإيطالي(1911-1931)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص ص43، 48.

[2]- أرويعي محمّد علي قناوي: بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية(1884-1957)، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2014، ص 77، 78

[3]- كان عمر المختار شيخا لزاوية القصور إلى أن نشبت الحرب فلبى نداء الجهاد، وكان عند نزول الإيطاليين في بنغازي عام 1911 بواحة جالو، فأسرع إلى القصور، وخرج بنجدة كبيرة إلى مقر الجيش العثماني في الرحمة، انظر:

- محمّد محمود إسماعيل: عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، مكتبة القرآن، القاهرة، 1992، ص08، 09.

ب- الجبهة الغربية: عندما غزت إيطاليا ليبيا عام 1911م، كان **سليمان الباروني** على رأس المجاهدين المناضلين لصدّ هذا العدوان الغاشم، وكانت له معهم صولات وجولات كما تفرغ خلالها لتنظيم الجبهة الداخلية، وحل المنازعات والمشاكل الداخلية وتنظيم القوات الطرابلسية، ثمّ أخذت تلك الكتائب تشن الغارات المنظمة على القوات الإيطالية، وكانت أهم معاركه معهم معركة جندوبة(قرب يفرن) في 23 مارس 1913م[1].

02- كفاح الشعب الليبي أثناء الحرب العالمية الأولى:

أدّت التحالفات العسكرية الأوروبية في الحرب العالمية الأولى دورا كبيرا في أسلوب العمل المسلح الليبي؛ فقد كان تحالف انجلترا وإيطاليا ضد تركيا في هذه الحرب دافعا قويا لدخول الليبيين غمارها إلى جانب العثمانيين ضد العدو المشترك(إيطاليا) على جبهتين:

أ- الجبهة الليبية: تمكّن الليبيون خلال معاركها إحراز انتصارات عديدة على الإيطاليين، الذين اضطروا أمام تفوق الليبيين وخاصة أمام انضمام **رمضان السويحلي** إلى فصائل المقاومة، إلى ترك الكثير من مراكزهم وتحصيناتهم وانسحابهم إلى الشريط الساحلي[2].

ب- الجبهة المصرية: شاركت القوات الليبية بقيادة السنوسيين في الهجوم العثماني على المواقع البريطانية في مصر، لإيمان الليبيين أنّ أيّ هزيمة للبريطانيين في مصر تعني إضعافا وهزيمة لحلفائهم الإيطاليين، ولكن انهزام الأتراك في هذه الجبهة وتمكّن الإنجليز من استعادة المواقع التي

---

[1]- رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: المرجع السابق، ص ص36، 40.

[2]- حول الحيل التي استعملها السويحلي مع الإيطاليين، ومقاومته لهم من مصراته، انظر: :- نفسه: ص ص94، 101.

احتلها السنوسيون داخل الأراضي المصرية، حملت **الشريف أحمد السنوسي** على الانسحاب ومغادرة ليبيا إلى الأستانة عام 1918م تاركا الزعامة السنوسية من بعده إلى **الشريف إدريس السنوسي**[1].

03- تطور الكفاح الليبي في نهاية الحرب العالمية الأولى:

خرجت إيطاليا منهكة من جرّاء الحرب العالمية الأولى ولذلك اضطرت إلى مهادنة الليبيين الذين كانوا يمرون أيضا بظروف صعبة، بعد أن أصبحوا محصورين بين عدوين هما إيطاليا وبريطانيا، وقد أسفرت سياسة المهادنة المؤقتة التي سعت إيطاليا نحوها بعد الحرب، إلى ظهور حدثين بارزين على مسرح القضية الليبية.

أ- **اتفاقية عكرمة(16 أفريل 1917م):** نصّت هذه الاتفاقية التي أبرمت بين السنوسيين والحكومة الإيطالية على البنود التالية:

- إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين.

- تحديد مناطق النفوذ لكلّ من السنوسيين والإيطاليين.

- دخول واحة الجغبوب تحت الإدارة السنوسية بعد أن كانت تدار من قبل البريطانيين.

- احترام القضاء الشرعي الإسلامي وإعادة فتح الزوايا السنوسية[2].

---

[1]- حول نشاط أحمد الشريف السنوسي؛ انظر: - مصطفى علي هويدي: الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات التاريخية رقم07، الجماهيرية الليبية، 1988، ص ص49، 99.

- هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر، تر: شاكر إبراهيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، الجماهيرية الليبية، 1981، ص67. - رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: المرجع السابق، ص ص131، 133.

[2]- رفعت عبد العزيز سيد أحمد: نفسه، ص ص 137، 139.

واستفاد الزعيم السنوسي الجديد(إدريس) من تطبيق هذه الاتفاقية في التغلب على الأزمات الاقتصادية، وإيجاد نواة للدولة السنوسية المستقلة في **برقة**، في الوقت الذي اعتبرها البعض استسلاما من طرفه للإيطاليين والإنجليز الذين سلبوا كلّ شيء من السنوسي، مقابل منحه لقب "أمير"[1].

ب- قيام الجمهورية الطرابلسية:

بعد قيام إمارة مستقلة في برقة، اجتمع الزعماء الوطنيون في **طرابلس** وقرّروا إقامة جمهورية طرابلسية في الجزء الغربي من ليبيا بتاريخ 16نوفمبر1918م[2]، تمارس صلاحياتها من خلال المجالس التالية:

- المجلس الجمهوري ويتألف من أربعة أعضاء هم: **سليمان الباروني، رمضان السويحلي، أحمد المريض، وعبد النبي بلخير**.

- مجلس الشورى.

- مجلس الإدارة المالية.

واعترفت الحكومة الإيطالية بالاستقلال الداخلي لهذه الجمهورية شريطة إقرارها بالسيادة الإيطالية[3].

04- سقوط الجمهورية الطرابلسية وقيام الإمارة السنوسية:

لم تستطع الجمهورية الطرابلسية العيش طويلا، فقد دامت ستة أشهر ونصف(من 16نوفمبر 1918 إلى 01جوان1919م)، إذ ساهم في تقويض دعائمها عاملان بارزان؛ تمثلا في عدم جدية

[1]- رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: المرجع نفسه، ص139.

[2]- هنري حبيب: المرجع السابق، ص68.

[3]- رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: المرجع السابق، ص ص153، 156.

إيطاليا في اعترافها الرسمي بالجمهورية ومماطلتها في تطبيق الدستور، وظهور الانقسامات بين زعماء الجمهورية بتشجيع من الإيطاليين، وانقاذا للبلاد من الفتنة التي أعدّ الإيطاليون لها، دعا المخلصون من الزعماء الوطنيين في كلّ من برقة وطرابلس إلى عقد مؤتمر وطني لاتخاذ موقف موحّد لصالح البلاد بعد سقوط الجمهورية، ونتيجة لهذا الاجتماع الذي انعقد في غريان في 02 أكتوبر1922م قرّر الزعماء الوطنيون توحيد طرابلس وبرقة في إمارة واحدة بزعامة **إدريس السنوسي**[1].

ورافق الإعلان عن قيام الإمارة السنوسية الموحّدة قيام الانقلاب الفاشي في إيطاليا بزعامة **موسوليني** في أكتوبر1922م، ولمّا كانت الفاشية حركة استعمارية عنصرية فإنّ النظام الفاشي الإيطالي لم يشعر بالارتياح تجاه تأسيس الإمارة السنوسية الموحّدة، وقرّر القضاء عليها وتنفيذ سياسة القبضة الحديدية في ليبيا[2].

05- تصعيد المقاومة الشعبية الليبية:

بدأت القوات الإيطالية منذ عام 1923م بشن حرب استعمارية همجية جديدة ضد الشعب الليبي أملا في استغلال الانتصارات العسكرية كمادة دعائية للنظام الفاشي، ولتوطيد سيطرتها على ليبيا بشكل مُحكم، قامت بنفي الليبيين إلى الخارج، وأنشأت المحاكم الطائرة[3]، والمعتقلات الجماعية[4]، ولكنها واجهت أثناء هذه العمليات الحربية التي تحلّلت من كلّ القيم الإنسانية استماتة وبسالة نادرتين

---

[1]– هنري حبيب: المرجع السابق، ص68، 69.

[2]– من مظاهرها ما أعلنه الوالي الجدي في برقة "بونجفاني" في أفريل 1923، أنّ "جميع الاتفقيات التي عقدتها الحكومة مع السنوسيين باطلة وملغاة"، انظر: – رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: المرجع السابق، ص176.

[3]– عرف الاستعمار الإيطالي المحاكمات الطائرة، بسبب انتقل هذه المحكمة على متن الطائرات من مكان إلى آخر، لإصدار الأحكام السريعة، ويتم تنفيذها على أيدي السلطات المحلّية فورا، من أجل إشعار الأهالي بأنّ العدالة تأخذ مجراها بكلّ سرعة، انظر:
– محمّد محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص40، 41.

[4]– هنري حبيب: المرجع السابق، ص69.

من طرف المجاهدين الذين تزعمهم البطل **عمر المختار**(1862-1931) الذي خاض بدءا من عام 1923م حركة الجهاد بالجبل الأخضر[1].

وبعد أن تمكّن الإيطاليون من احتلال فزّان والقسم الغربي من البلاد نقلوا عملياتهم العسكرية إلى القسم الشرقي، حيث شهدت مرتفعات الجبل الأخضر ملاحم بطولية انتهت بأسر زعيم المجاهدين **عمر المختار** عام 1931م[2]، والذي سبقه احتلال واحة الجغبوب في فيفري 1928م ثمّ جالو وأوجلة 1928م[3]، وأتبع الجنرال جراتسياني تقدّمه باحتلال الكفرة في 19جانفي 1931م[4]، وبفشل الإيطاليين في مفاوضة عمر المختار طوال صيف 1929 على الإقرار بتبعية ليبيا لإيطاليا، لم تحترم السلطة الفاشية مكانته الروحية وشيخوخته، فأزهقت روحه شنقا في 16 ديسمبر 1931م بمدينة سلوق[5].

06- تحرير ليبيا من الاحتلال الإيطالي:

دخلت القضية الليبية بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية(1939-1945) طورا جديدا تميّز بتحالف السنوسيين مع الإنجليز ضدّ الإيطاليين شريطة الاعتراف باستقلال ليبيا بعد انتهاء الحرب، ونجحت قوات الطرفين في طرد قوات المحور(ألمانيا ، اليابان ، إيطاليا) من المغرب العربي، فشهد عام 1943م خروج آخر جندي إيطالي من ليبيا، وبعد انسحاب الإيطاليين من ليبيا ماطل الحلفاء

---

[1]- محمّد محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص26، 27.

[2]- هنري حبيب: المرجع السابق، ص69. - محمّد محمود إسماعيل: نفسه، ص ص27، 47.

[3]- احتلت القوات الإيطالية النوفلية في 09 جانفي1928، ثمّ الزلة في 22 فيفري 1928، والجفرة يومي 13 و14 فيفري 1928، وواحات أوجلة وجالو يومي 24 و25 ماي على التوالي، انظر: - رفعت عبد العزيز سيد أحمد، محمد امحمد الطوير: المرجع السابق، ص ص247، 260.

[4]- نتج عن ذلك هجرة الكثير من المجاهدين الذين كان لهم دور بارز في مقاومة الغزو الإيطالي منذ 1911 حتى عام 1931، انظر: - نفسه: ص ص282، 289. - محمّد محمود إسماعيل: نفسه، ص 44، 45.

[5]- كان جراتسياني عند القبض على عمر المختار يقضي إجازته في روما، فوصله الخبر مساء يوم 12 سبتمبر 1931 وهو في القطار الذاهب إلى باريس، فلم يتابع رحلته واستقل طائرة أوصلته إلى طرابلس في 13 سبتمبر 1931، ووصل إلى بنغازي في اليوم التالي، ودعا فورا المحكمة الخاصّة أو "المحكمة الطائرة" إلى الانعقاد في 15 سبتمبر 1916، ثمّ إعدامه في 23 ديسمبر 1916، وقد جرى حوار طويل بين عمر المختار والجنرال جراتسياني، انظر: - محمّد محمود إسماعيل: نفسه، ص ص48، 52.

في الاعتراف باستقلال ليبيا، وقامت في كلّ من برقة وطرابلس إدارتان عسكريتان بريطانيتان منفصلتان، بينما وُضعت فزان تحت الإدارة العسكرية الفرنسية، وقد عملت هذه الإدارات على فصل ليبيا بإقامة نقاط مراقبة وتفتيش[1].

بيد أنّ الليبيين – الذين كانت لمشاركتهم في ح ع 2 آثار إيجابية– أصرّوا إصرارا قاطعا على وحدة البلاد واستقلالها، فأسّسوا داخل البلاد وخارجها هيئات وجمعيات مارست النضال السياسي من أجل استقلال ليبيا ووحدة أراضيها، كنادي عمر المختار في **بنغازي** الذي أسّسه أسعد بن عمران ورفاقه في أفريل 1943م، والجبهة الوطنية في **برقة**، والمؤتمر الوطني البرقاوي والذي دعا إليه **محمد إدريس السنوسي** في ديسمبر 1947م، كما تشكلت في مارس 1947م بالقاهرة هيئة تحرير ليبيا التي انتقل مركز نشاطها في العام التالي إلى **طرابلس الغرب** بالذات[2]، بالإضافة إلى أحزاب أخرى مثل: الحزب الوطني الحر 1944م، وحزب الاتحاد الطرابلسي المصري 1946م، وحزب المؤتمر الوطني الطرابلسي 1949م، وحزب الاستقلال 1949م، وكان في مقدّمة مطالبها الاستقلال التام لليبيا[3].

07- إعلان الاستقلال وقيام الجمهورية:

بعد أن فشل مؤتمر وزراء خارجية الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية(روسيا، أمريكا، بريطانيا، فرنسا) في التوصّل إلى اتفاق حول مصير المستعمرات الإيطالية، تقرّر عرض القضية على الأمم المتحدة، وبإفشال الليبيين للخطة الإيطالية البريطانية "**مشروع بيفن سفورزا**"[4]،

---

[1]– هنري حبيب: المرجع السابق، ص70، 71.

[2]– ذكر بشير السعداوي جملة النشاطات واللقاءات التي احتضنتها القاهرة للنضال الليبي، قبل أن يقدم على تأسيس هيئة تحرير ليبيا، انظر:
– أرويعي محمّد علي قناوي: المرجع السابق، ص 232، 246.

[3]– محمّد سريج: "النشاط السياسي الوطني في ليبيا"، مجلة القرطاس، العدد11، جانفي 2019، ص ص61، 65.

[4]– اتفاق بين وزير خارجية بريطانيا بيفن ، ووزير خارجية إيطاليا سفورزا ، يقضي بأن تتقدم بريطانيا إلى الأمم المتحدة بمشروع يقسم ليبيا إلى ثلاثة أقسام: تتولى إيطاليا الوصاية على طرابلس، وفرنسا على فزان، وتبقى برقة إمارة سنوسية تحت وصاية بريطانيا.

وبتدخل الجامعة العربية وعرض قضية ليبيا على الأمم المتّحدة، تمّ إصدار القرار رقم 289 في 21 نوفمبر 1949م يقضي بمنح ليبيا استقلالها في موعد أقصاه جانفي 1952م، وفي25 نوفمبر 1950 تكوّنت الجمعية التأسيسية من 60 عضوا ليبيا، أقرّت شكل الدولة الليبية ونظام حكمها، ونادت بأن تكون ليبيا بولايتها الثلاثة مملكة دستورية، وبإدريس السنوسي ملكا عليها، وتمّ في 24ديسمبر 1951م إعلان استقلال ليبيا رسميا[1].

لم يستطع النظام الملكي أن يزيح مخلفات الاحتلال الإيطالي التي انعكست على المجتمع الليبي بأوضاع فاسدة، كما عجز هذا النظام عن تحقيق السيادة الوطنية الكاملة، وامتلاك حرّية التحرك على الجبهة العربية بسبب وجود القواعد العسكرية الأجنبية(قاعدة هويلس) الأمريكية التي استخدمت ضدّ الأمة العربية في حرب جوان 1967م، وإزاء هذا الواقع الذي أعاق ليبيا عن ممارسة معركة البناء الوطني والمشاركة العربية، وبعد انطلاق النواة الثورية التي بدأها الشاب معمر القذافي عام 1959؛ بتنظيم جمعية سرّية بمدرسة سبها الثانوية، قام الجيش الليبي بثورة أطاحت بالنظام الملكي في الفاتح سبتمبر 1969م وأعلنت عن قيام "الجماهيرية العربية الليبية"، وإلغاء القواعد العسكرية الأجنبية[2].

[1]– هنري حبيب: المرجع السابق، ص ص 70، 82.

[2]– انظر هذه التطوّرات: – نفسه: ص ص83، 109.

رابعا- نموذج من المقاومات في إفريقيا جنوب الصحراء: (غينيا بيساو والرأس الأخضر)

طبّق الدكتاتور **سالازار** في المستعمرات البرتغالية بصفة عامّة وفي غينيا بيساو والرأس الأخضر وجزر ساوتومي وبرانسيب بصفة خاصّة أساليب القهر نفسها التي استخدمها في البرتغال، وخلّفت هذه الأساليب حالة من الثورة المكتومة تضاعف فيها البؤس المتزايد الذي كانت ترزخ تحته الأغلبية الإفريقية المغلوب على أمرها[1].

وارتبطت الحركة الوطنية التحرّرية في غينيا بيساو والرأس الأخضر بـ "الحزب الإفريقي لتحرير غينيا بيساو والرأس الأخضر"(P.A.I.G.C) الذي رأى النور سنة 1956 بزعامة أميلكار كابرال (Amilcar Cabral)، الذي استفاد من تجربة وجوده بلشبونة، وجعلته يدرك أنّ التخلّص من الهيمنة البرتغالية تكمن في ضرورة تبني الكفاح المسلّح كوسيلة أنجع لذلك.

اعتمد الحزب الإفريقي لتحرير غينيا بيساو والرأس الأخضر على سكان الريف، خاصّة قبائل البالنتي(Balanté) التس تمثل حوالي 30 % من مجموع السكان، لكنه واجه معارضة من زعماء بعض قبائل الفولاني الذين كانوا موالين للاستعمار البرتغالي، وابتداء من سنة 1963 كثّف الحزب من نشاطه العسكري في جنوب البلاد معتمدا على الدعم المقدّم من قبل غينيا كوناكري التس سمحت له بإقامة قواعد عسكرية على أراضيها، كما استفاد من المساعدات المادية والعسكرية المقدّمة من الجزائر والدول الاشتراكية[2].

و جنّدت السلطات البرتغالية حوالي مائتي ألف عسكري، وبدأت تنفق ابتداء من عام 1971 نصف ميزانيتها الوطنية لمواجهة حركات التحرّر وأجنحتها العسكرية التي استطاعت تحقيق

---

[1]- المنصف بكاي وآخرون: دور الجزائر في تحرير إفريقيا، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 96، 97.

[2]- نفسه: ص98.

انتصارات باهرة في الميدان، فقد تمكّن الحزب الإفريقي لتحرير غينيا بيساو والرأس الأخضر من تحرير بعض المناطق التي شهدت تحوّلات اجتماعية واقتصادية لم تعرفها أثناء فترة الحكم البرتغالي، ما جعل قائد القوات البرتغالية بها الجنرال سبينولا(Spinola) يعترف بأنّ الحل العسكري في مسألة الحرب في غينيا بيساو بات أمرا مستحيلا[1].

وبالرغم من اغتيال الزعيم أميلكار كابرال يوم 20جانفي 1973 بكوناكري عاصمة غينيا، فإنّ حرب تحرير غينيا بيساو والرأس الأخضر استمرت، وفي 26 سبتمبر 1973 أعلن الحزب الإفريقي لتحرير غينيا بيساو والرأس الأخضر على لسان زعيمه الجديد لويس كابرال(Louis Cabral)- أخ الزعيم الراحل أملكار كابرال- عن استقلال غينيا بيساو والرأس الأخضر[2].

[1]- نفسه: ص99.

[2]- نفسه: ص100.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلا / الكتب:

01- باللّغة العربية:

- أبلبي جويس: الرأسمالية ثورة لا تهدأ، تر: رحاب صلاح الدين، مراجعة: محمّد فتحي خضر، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

- أرويعي محمّد علي قناوي: بشير السعداوي ودوره في الحركة الوطنية الليبية(1884-1957)، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2014.

- إسماعيل محمّد محمود: عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء، مكتبة القرآن، القاهرة، 1992.

- أشرف صالح محمّد سيد: أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2009.

- البلهوان علي: تونس الثائرة، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، 2017.

- البياض الطيّب: المخزن والضريبة والاستعمار-ضريبة الترتيب1880-1915-، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011.

- التازي عبد الهادي: الحماية الفرنسية بدءها- نهايتها حسب إفادات معاصرة، تعريب: عبد الهادي التازي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (د.ت).

- الثعالبي عبد العزيز: تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، لبنان، 1975.

- الجمل شوقي عطاء الله ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000.

- الحافظ ياسين: التجربة التاريخية الفيتنامية، تقييم نقدي مقارن مع التجربة التاريخية العربية، ط03، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1997.

- الحبيب ثامر: هذه تونس، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، (د.ت).

- الدولاتي عبد العزيز: مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس للنشر، تونس، 1981.

- السيّد سليمان حسن: "الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي"، مجلة دراسات إفريقية، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، العدد 02، شعبان 1406هـ/أفريل 1986.

– السيّد يوسف نصر: الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية حول العالم بين الاستعمار والاستغلال، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2007.

– الشيخ رأفت غنيمي: التاريخ المعاصر للأمّة العربية الإسلامية،1412–1992، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1412هـ/1992م.

– الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية وطنية جديدة(1830–1956)، ط02، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990.

– العاصي الطويل يوسف: أمريكا...تاريخ من االغزو والإرهاب، مكتبة حسن الحضارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1435هـ/2014، ج03.

– العزب موسى عايدة: تجارة العبيد في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1428هـ/2007م.

– العقاد عبّاس محمود: سن ياتسن أبو الصين، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

– الغزاوي يحي محمّد طاهر: مؤتمر بروكسل 1890، الوثيقة العظمى لعتق العبيد، تقديم: ماهر شعبان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2020.

– القادري أبو بكر: مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1941 إلى 1945، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م.

– القدوري عبد المجيد: المغرب وأوروبا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر(مسألة التجاوز)، ط02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012.

– القوزي محمّد علي، حلاق حسّان: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001.

– المحجوبي علي: الحركة الوطنية التونسية بين الحربين، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1986.

ـــــــــــــــ: النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت باليابان؟، مركز النشر الجامعي، سراس للنشر، تونس، 1999.

– المرنيسي عبد الحميد: الحركة الوطنية المغربية من خلال شخصية الأستاذ علال الفاسي إلى أيّام الاستقلال، مطبعة الرسالة، الرباط، 1978.

– المزاري الآغا بن عودة: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا، تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج01.

– المنصف بكاي وآخرون: دور الجزائر في تحرير إفريقيا، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

– الوزان الحسن: وصف إفريقيا، تر: محمّد حجّي، محمّد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج02.

– باين روبرت: ماوتسي تونج، عرض وتقديم: أيمن عادل، دار طيبة للطباعة، القاهرة، 2008.

– تشومسكي نعوم: سنة 501 الغزو مستمر، تر: مي النبهان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1996.

– حاطوم نور الدين: الحركات القومية– يقظة القوميات الأوروبية، ط02، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.

– خليفة حامد محمّد: الموقف من التاريخ الإسلامي وتأصيل الهويّة، دار القلم، دمشق، 2005.

– درويش فوزي: الشرق الأقصى الصين واليابان، مطابع غباشي، طنطا، مصر، 1988.

– رمزي أحمد: الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، المطبعة النموذجية، مصر، 1948.

– زاهر رياض: استعمار إفريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ/1965.

– زوزو عبد الحميد: تاريخ الاستعمار والتحرّر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

– سعد الله أبو القاسم: شعوب وقوميات، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

– سلامة موسى: غاندي والحركة الهندية، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

– سلطان عبد الله عبد المحسن: البحر الأحمر والصراع العربي– الإسرائيلي، ط02، سلسلة أطروحات الدكتوراه(7)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1985.

– سيد أحمد رفعت عبد العزيز ، محمد امحمد الطوير: تاريخ الجهاد في ليبيا ضدّ الغزو الإيطالي(1911–1931)، مركز الحضارة العربية، القاهرة، (د.ت).

– طارق أحمد شمس: الشرق على طريق الحرير، دراسة تاريخية–جغرافية–اقتصادية 3000ق.م–2017م، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2018.

– فونقوين جياب: مذكّرات الحرب، تحرير: هيو ماي، تر: عبد الوهاب محمّد الزنتاني، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ج01.

– عبد الرزاق إبراهيم عبد الله: المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، منشورات عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 139، جويلية 1989.

– عبد العزيز زينب: مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسيين، كمبيوتر ستار، مصر، 1998.

– فايز صالح أبو جابر: الاستعمار في جنوب شرق آسيا، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1411هـ/1991.

– لبيب عبد الستار: أحداث القرن العشرين منذ 1919، ط03، دار المشرق، بيروت، 1919.

– مالكي امحمد: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، (سلسلة أطروحات الدكتوراه: 20)، ط02، بيروت ، لبنان، أوت 1994.

– مجموعة مؤلفين: العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو(1516–1916)، تحوّلات بُنى السلطة والمجتمع من الكيانات والإمارات السلطانية إلى الكيانات الوطنية، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، 2019.

– مصطفى فؤاد: محمّد الخامس وكفاح المغرب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

– منسي محمود حسن صالح: الشرق العربي المعاصر، المعادي الجديدة، مصر، 1990.

– موسى عايدة العزب: العبودية في إفريقيا، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1424هـ/2004م.

– مينارد فيلكس: ثورة الهند أو المرأة الصابرة، تر: الميرزا يوسف خان، مطبعة الهلال، مصر، 1318هـ/1900م.

– مجموعة مؤلفين: حرب الأفيون، سلسة كتب تاريخ الصين الحديث، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين، 1979.

– مجموعة مؤلفين: تونس عبر التاريخ– الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، إشراف: خليفة الشاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ج03.

– مصطفى علي هويدي: الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، مراجعة: صلاح الدين حسن السوري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات التاريخية رقم07، الجماهيرية الليبية، 1988.

– هانتجتون صمويل: الإسلام والغرب آفاق الصدام، تر: مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1415هـ/1995م.

- هنري حبيب: ليبيا بين الماضي والحاضر، تر: شاكر إبراهيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، الجماهيرية الليبية، 1981.

- هوخام هيلدا: تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، تر: أشرف محمّد كيلاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

- هويسنطن وليام: الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نوكيس1936-1943، تر: إبراهيم بوطالب، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة النصوص وأعمال مترجمة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، 2002.

- يحي جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، سيطرة أوربا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، (د.ت).

02- باللّغة الفرنسية:

– Brunschwig Henri : L'avènement de l'Afrique noire, librairie Armand colin, Paris, 1963.

– Delmas Claude : Le monde Atlantique, collection « que sais-je », 02éme édition, Presse universitaires de France, 1965.

– Deschamps Hubert : histoire de Madagascar- avec 13 cartes et 31 photographies, troisième édition, éditions Berger-Levrault, Paris, 1965.

- Guerard Françoise: **Auzou- dictionnaire encyclopédique**, éditions Philippe Auzou, Paris, 2006.

- G.Malleterre, P.Legendre : Atlas Colonial- livre atlas des colonies Françaises, librairie ch.Delagrave, Paris,(s.d).

ثانيا- المقالات والدراسات والمنشورات:

01- باللّغة العربية:

- العلوي محمّد الفلاح: "ملاحظات حول المقاومة المسلّحة بين فرض الحماية واستقلال المغرب"، ضمن: المقاومة المغربية ضدّ الاستعمار 1904-1955، الجذور والتجلّيات، أعمال الندوة العلمية 13، 14، 15

نوفمبر 1991، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، سلسلة الندوات والأيّام الدراسية، 1997.

– العياشي عبد الله: "جذور المقاومة المغربية ومراحل تطورها"، ضمن: المقاومة المغربية ضدّ الاستعمار1904–1955، الجذور والتجلّيات، أعمال الندوة العلمية 13، 14، 15 نوفمبر 1991، منشورات كلّية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، سلسلة الندوات والأيّام الدراسية، 1997.

– رميض صباح مهدي ، ذكرى شمسي جواد: "ثورة الهند 1857 تجاه الإدارة البريطانية والموقف الفرنسي منها"، حوليات آداب عين شمس، كلّية الآداب، عين شمس، مصر، المجلّد 49، عدد أفريل–جوان 2021، (296، 310).

– سريج محمّد: "النشاط السياسي الوطني في ليبيا"، مجلة القرطاس، العدد11، جانفي 2019.

– سلام سماح: "الاحتلال البريطاني في شبه القارة الهندية"، مجلة المقتطف التاريخية، العدد04، مارس 2010.

– مجهول: "فونغوين جياب العدو الشريف الذي قهر عتاة الاستعماريين"، مجلّة العرب، السنة 36، العدد 9347، 11 أكتوبر 2013.

– يعرب عبد الرزاق عبد الدراجي: الحكم الاستعماري الإسباني في الفلبين(1521– 1898)، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد45، ج01، نوفمبر 2021، (153، 178).

02– باللّغة الفرنسية:

– Féraud Charles : « Conquete de Bougie par les Espagnols d'après un manuscrit arabe d'Abou Ali Ibrahim el–Merini », Revue Africaine, n°70–71, 1868

ثالثا– الوسائط الالكترونية:

– Davar Praveen : Tilak: The Revolutionary Nationalist, [https://inc.in/congress–sandesh/tribute/tilak–the–revolutionary–nationalist], 04 julay 2024, (30 March2025).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقـدّمـة	04
- المحور الأوّل: الغزوات الاستعمارية خلال القرنين 15 و16م	07
أوّلا- انطلاق الغزوات البحرية الأوروبية وأسبابها:	07
01- الدوافع الاقتصادية:	07
02- الدوافع السياسية والدينية:	09
03- الدوافع العلمية والثقافية:	11
ثانيا- انطلاق الأوروبيين في "حركة الكشوف":	11
01- الدور البرتغالي	11
02- الدور الإسباني:	13
03- الدور الانجليزي:	14
04- الدور الفرنسي:	14
05- الدور الهولندي:	15
ثالثا- نتائج التوسّعات الأوروبية خلال القرنين 15و16م:	15
01- سياسيا:	15
02- اقتصاديا:	16
03- علميا:	18
04- اجتماعيا وثقافيا:	18
المحور الثاني: تشكّل الإمبراطوريات الاستعمارية من القرن 16 إلى نهاية الحرب العالمية الأولى:	20

أوّلا- الإمبراطورية الاستعمارية البرتغالية:	21
ثانيا - الإمبراطورية الاستعمارية الاسبانية:	25
ثالثا- الامبراطورية الاستعمارية الهولندية:	29
رابعا- الامبراطورية الاستعمارية البريطانية:	34
خامسا- الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية:	40
المحور الثالث: نماذج من حركات التحرّر في العالم	45
أوّلا - الحركة التحرّرية في الصين:	45
01- تحويل الصين إلى شبه مستعمرة:	45
02- حروب الأفيون:	45
03- معركة الامتيازات الأجنبية:	49
04- الاستعباد المالي والوصاية السياسية:	50
05- تأسيس الجمهورية الصينية:	51
06- الصراع بين الوطنيين والشيوعيين:	54
ثانيا- الحركة الوطنية في الهند:	57
01- التحوّلات الكبرى بعد انتفاضة السبايس(سيبوي) :	58
02- نشاط حزب المؤتمر الهندي:	59
03- السير نحو الاستقلال:	63
ثالثا- الحركة الوطنية في الهند الصينية:	66
المحور الرابع: نماذج من الحركات التحرّر في قارة إفريقيا	73
أولا- كفاح تونس في سبيل الاستقلال:	73
01- المؤثرات البارزة في الحركة الوطنية التونسية:	74

02- مظاهر الكفاح السياسي في تونس ومراحله:	75
03- تطوّر القضية التونسية بعد الحرب العالمية الثانية:	80
04- الثورة التونسية المسلحة:	82
05- المعارضة والاستقلال:	83
ثانيا- الكفاح التحرّري في المغرب الأقصى:	85
01- نشأة الحركة الوطنية المغربية:	85
02- النضال السياسي حتى الحرب العالمية الثانية:	87
03- الحركة الوطنية المغربية بعد الحرب العالمية الثانية:	88
04- إعلان الاستقلال:	89
ثالثا- **المقاومة الليبية حتى الاستقلال:**	90
01- المقاومة الليبية بعد انسحاب العثمانيين:	90
02- كفاح الشعب الليبي أثناء الحرب العالمية الأولى:	91
03- تطور الكفاح الليبي في نهاية الحرب العالمية الأولى:	92
04- سقوط الجمهورية الطرابلسية وقيام الإمارة السنوسية:	93
05- تصعيد المقاومة الشعبية الليبية:	94
06- تحرير ليبيا من الاحتلال الإيطالي:	95
07- إعلان الاستقلال وقيام الجمهورية:	96
رابعا- نموذج من المقاومات في إفريقيا جنوب الصحراء:	98
***الحركة التحرّرية في غينيا بيساو والرأس الأخضر**	98
- قائمة المصادر والمراجع.....	101
- فهرس الموضوعات.....	108